جمعية أنصار السنة
فــرع بلبيــس
اللجنــة العلميــة

٥ـ٦

رجب وشعبان ـ ١٤٣٨هـ

إشراف

إعــداد

اللجنة العلمية

obeikandl.com

الإقصـائيون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وبعد،

فإن خير الناس للناس أهل الإسلام وأرحم الناس بالناس أهل السنة في المسلمين، فإنهم أوسع الناس صدرًا إن استُغضبوا، وأرأف الخلق بالخلق إن عوتبوا، وأعدل الناس إن ملكوا، وأصبر الناس إن ظُلموا، فهم نقاوة الناس والقدوة لكل من ساس.

لم يعرف أهل الإسلام قط ظاهرة الإقصاء بكل معانيه وأنواعه من إقصاء جسدي أو معنوي، فلم يفرض أهل الإسلام على أحد اعتناقه، أو يحيفوا على غيرهم ويأتوا على دينهم بإقلاعه.

فعاش المعاهدون والمستأمنون بين المسلمين في خير جوار، وأمنوا على أنفسهم وأموالهم في الأقطار، فكانوا في صوامعهم وكنائسهم يتعبدون، وفي تجارتهم مع المسلمين يربحون، ومن عدوان الظالمين عليهم ينتصرون، وبالقضاء العادل لا يُخذلون، ومرت قرون وتتابعت الدهور وهم بين المسلمين يتعايشون،

فلما كان المسلمون تحت قبضتهم وفي ظل سلطانهم إذا هم يفجرون، وبالعداوة يصارحون، وبالإقصاء والظلم يتعاملون، فمظهر الدين ممنوع! حتى التعبد في الخلوة غير مسموح! ؛ فهدمت المساجد، ومنعت المآذن، وحُظر الحجاب، وصدرت القوانين بطرد المنكوبين والمبتلين من المسلمين، فإلى الله المشتكى، ثم بعد ذلك يُتهم المسلمون بما ليس فيهم!

وحقيقة الأمر كما قالوا: **رمتني بدائها وانسلت.**

فحالهم اليوم كحالهم مع أبي بكر الصديق في مكة، لم يسمحوا له بتلاوة القرآن فضلا عن النداء بالأذان، فاعتكف في بيته وآثر الاجتنان، فاشتد غيظهم وقالوا سيفتن نساءنا

وأبناءنا ويصدهم عن دين الآباء والأجداد؛ فنكثوا العهود وغيروا الأيمان، ولم يعايشوا رجلاً يعبد ربه في قعر بيته أو بالفناء

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ، فَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: **إِنَّ مِثْلَكَ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلاَدِكَ،** فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَرَجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَأَنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جِوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَآمَنُوا أَبَا بَكْرٍ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ، فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَطَفِقَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِالصَّلاَةِ، وَلاَ القِرَاءَةِ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَبَرَزَ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ القُرْآنَ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَإِنَّهُ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَأَعْلَنَ الصَّلاَةَ وَالقِرَاءَةَ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَأْتِهِ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ

إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلاَنَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ، أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ. (١)

إن رجلاً على هذا الوصف إنه لثروة لأي أمة راشدة، إنه كما نقول اليوم بمثابة مؤسسة خيرية تعمل لنفع الناس وإسعاد العباد، لكن العقول المتحجرة لا تقبل إلا من كان على شاكلتها، فلا تعلم قواعد الائتلاف ولا أسس التعايش بلا إسفاف.

وترى في المقابل تعاملاً نبويا عظيمًا لا تعرفه أمم في عصرنا تدعي العدل والتسامح

لما رجع النبي ﷺ إلى مكة فاتحًا بعد سنوات من القهر والإقصاء، ثلاثة عشر عامًا ولا يرفع نداء الحق في البيت الحرام، ولا يسمح بالصلاة فيه علنًا خلف إمام، ولا يجوز لأحد من المسلمين أن يطوف ويصلي خلف المقام ليس لشيء إلا لأنهم وحدوا الواحد ولم يشركوا به في عمل أو يعبدوا الأوثان.

فلم يعاملهم صلوات الله وسلامه عليه بما كانوا به عاملين ومجترئين، أو يكافئهم على قدر ظلمهم وإقصائهم المؤمنين، بل منَّ عليهم وعلمهم كيف يكون التعايش بين المختلفين حتى في الدين " فجاء أبو سفيان، فقال: يا رسول الله، أبيدت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم، قال أبو سفيان: قال رسول الله ﷺ : **من دخل دار أبي سفيان فهو**

(١) صحيح البخاري (٢١٧٥)

آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. (١)

إن التاريخ يعيد نفسه والأحداث تترى متشابهة، وملة الكفر واحدة، والأسس التي يتعاملون بها معنا خالدة، ولن تزول أو تتغير حتى تقع الواقعة

فلنتفكر مليًّا ونعمل معًا لتجتمع قلوب المؤمنين، فما تسلط علينا عدونا إلا لما تفرق جمعنا، ودب الشقاق بيننا، ووقعت العصبية والطائفية حتى اقتتل بعضنا

فاللهم احفظ عبادك المؤمنين
وأذهب عنهم كيد الكائدين ومكر الماكرين.

كتبه
أحمد بن سليمان

(١) صحيح مسلم (٤٦٤٧)

obeikandl.com

رجب شهر الغرس

مقدمة:

إن الله عز وجل خلق الموت والحياة بلاءً للعباد ليعلم من منهم يحسن العمل، وجعل الأيام دول بين الناس، فالسَنةُ اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم كما ذكر ربنا تبارك وتعالى في كتابه بقوله: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ } [التوبة: ٣٦]

وخَصَّ اللَّهُ تَعَالَى الْأَرْبَعَةَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ بِالذِّكْرِ، وَنَهَى عَنِ الظُّلْمِ فِيهَا تَشْرِيفًا لَهَا وَإِنْ كَانَ مَنْهِيًّا عَنْهُ فِي كُلِّ الزَّمَانِ(١).

والْأَشْهُرَ الْحُرُمَ مِنْهَا: ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: "ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ، مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى، وَشَعْبَانَ "(٢).

وقد خصت هذه الأشهر ببعض الفضائل، **قال ابن رجب:** " شهر رجب مفتاح أشهر الخير والبركة، وقال أبو بكر الوراق البلخي: شهر رجب شهر للزرع وشعبان شهر السقي للزرع ورمضان شهر حصاد الزرع، وعنه قال: مثل شهر رجب مثل الريح ومثل شعبان مثل الغيم ومثل رمضان مثل القطر وقال بعضهم: السنة مثل الشجرة وشهر رجب أيام توريقها وشعبان أيام تفريعها ورمضان أيام قطفها والمؤمنون قطافها جدير بمن سود صحيفته بالذنوب أن يبيضها بالتوبة في هذا الشهر وبمن ضيع عمره في البطالة أن يغتنم فيه ما بقي من العمر، فانتهاز الفرصة بالعمل في هذا الشهر غنيمة واغتنام أوقاته بالطاعات له فضيلة عظيمة "(١).

---

(١) تفسير القرطبي (٨/ ١٣٥).

(٢) أخرجه البخاري(٤٦٦٢)، ومسلم(٢٩).

ومن أراد ثمار رمضان لابد من الاستعداد، والبذر الجيد لها، ولو أرادوا رمضان لأعدوا له عدة. . . .

قوافل المستعدين[٢]:

١-قافلة التلاوة:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٢٩، ٣٠]

فقراءة القرآن من أفضل الذكر، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ"[٣].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "{قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ} تَعْدِلُ رُبُعَ القُرْآنِ"[٤].

وفي الحديث الآخر عن ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"[٥].

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٢١).

(٢) لم يرد في شرعنا تخصيص لشهر رجب بصلاة مخصوصة، أو بصيام مخصوص، أو بعبادة مخصوصة، ولكن ما نورده هو من باب التذكير ووضع برنامج جيد للاستعداد لشهر رمضان. هذا ضابط لابد من التنبيه عليه ليعلم.

(٣) أخرجه البخاري(٥٠١٣).

(٤) أخرجه الترمذي(٢٨٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٤٤٠٥).

(٥) أخرجه الترمذي(٢٩١٠)، وصححه الألباني في المشكاة(٢١٣٧).

وهذا دليل على عظم قراءة القرآن والله يضاعف لمن يشاء، وكل إنسان وهمتَه في هذا الباب، {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: ٢٦]

٢-قافلة الذاكرين:

قال تعالى: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٣٥]

وقال سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً } [الأحزاب: ٤١، ٤٢]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: "لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ"(١).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ"؟ ، قَالُوا: بَلَى. قَالَ: "ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى"، قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: "مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ"(٢).

قال ابن القيم: " ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، وصدأ القلب بأمرين بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر.

فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في

---

(١) أخرجه الترمذي(٣٣٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٨١٢).

(٢) أخرجه الترمذي(٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٦٤٤).

صورة الحق والحق في صورة الباطل، فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً. "(١).

٣-قافلة المتصدقين:

فقد أخبرنا نبينا ﷺ عن يوم القيامة وأهواله، فذكر أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ.

وقال أبو موسى رضي الله عنه: "الشَّمسُ فوق رؤوسِ النَّاس يومَ القيامة، فأعمالهم تُظِلُّهم، أَوْ تُضَحِّيهِمْ"(٢).

فلا ظل هنالك ولا ظليل إلا ظل عرش الملك الجليل، وقد أخبر ﷺ عن الأعمال الموجبة للاستظلال بظل عرش الرحمن منها التصدق، فعَن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ-فذكر منها-" وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ"(٣).

وقال سبحانه: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ، وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [البقرة: ٢٧١]

وعَن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ قَالَ: حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ". وقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ: فَكَانَ أَبُو الخَيْرِ اليَزَنِيُّ المِصْرِيُّ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ لَا يَتَصَدَّقُ مِنْهُ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعْكَةً وَلَوْ بَصَلَةً(٤).

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم(ص: ٤٠).

(٢) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب(٣/ ١٠٠٨). و ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٩٦١).

(٣) أخرجه البخاري(١٤٢٣)، ومسلم(٩١).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه(٢٤٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٤٥١٠).

فلا تحرم نفسك من ثواب الصدقة ولو بالقليل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ قَالُوا: وَكَيْفَ؟، قَالَ كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا"(١).

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًى، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ"(٢).

ومن عجز عن التصدق بماله، لن يضيع منه الفضل والثواب، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى"(٣).

وقال ابن القيم: " وفى الصدقة فوائد ومنافع لا يحصيها الا الله فمنها انها تقى مصارع السوء وتدفع البلاء حتى إنها لتدفع عن المظلوم، **قال إبراهيم النخعي**: "وكانوا يرون أن الصدقة تدفع عن الرجل المظلوم وتطفئ الخطيئة وتحفظ المال وتجلب الرزق وتفرح القلب وتوجب الثقة بالله وحسن الظن به كما أن البخل سوء الظن بالله، وترغم الشيطان -يعنى الصدقة- وتزكى النفس وتنميها وتحبب العبد الى الله وإلى خلقه وتستر عليه كل عيب كما أن البخل يغطى عليه كل حسنة وتزيد فى العمر وتستجلب أدعية الناس ومحبتهم وتدفع عن صاحبها عذاب القبر وتكون عليه ظلا يوم القيامة وتشفع له عند الله وتهون عليه شدائد الدنيا والآخرة وتدعوه الى سائر أعمال البر فلا تستعصى عليه وفوائدها

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى(٢٥٢٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٦٠٦).

(٢) أخرجه البخاري(٥٣٥٥)، ومسلم(٩٥).

(٣) أخرجه مسلم(٨٤).

ومنافعها أضعاف ذلك، ولو لم يكن فى النفع والاحسان الا أنه صفة الله وهو سبحانه يحب من اتصف بموجب صفاته وآثارها فيحب العليم والجواد والحيي والستير والمؤمن القوى أحب اليه من المؤمن الضعيف ويحب العدل والعفو والرحيم والشكور والبر والكريم فصفته الغنى والجود ويحب الغنى الجواد"(١).

٤-قافلة المدلجين في ظلام الليل:

البعض يستثقل صلاة التراويح في رمضان، وسبب ذلك أنه لم يكن متعودًا على قيام الليل قبل ذلك فيصاب بالفتور فيحرم الثواب، ولقد ذكر الله عز وجل صفات المتقين الذين وجبت لهم الجنات والعيون بأنهم، (كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)، قال ابن عباس: "لم يكن يمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئاً"(٢).

هذا حال المتقين لا ينعمون بنوم خوفاً من عقاب ربهم، وطمعًا في رضوانه كما وصفهم سبحانه بقوله: { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون} [السجدة: ١٦]

أي: تتنحَّى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله، الذين وصفت صفتهم، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم، ولا ينامون {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} في عفوه عنهم، وتفضُّله عليهم برحمته ومغفرته {ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ} في سبيل الله، ويؤدّون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه(٣).

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم(ص: ٢٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٧).

(٣) تفسير الطبري(٢٠/ ١٧٨).

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا"، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "لِمَنْ أَطَابَ الكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ"(١).

وإن الليل موطن تَنَزُّلُ الرحمات، ونزول رب الأرض والسماوات، فعليك باغتنامه بالطاعات، والإكثار من القربات، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهِ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ "(٢).

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ(٣).

وفي الحديث تنبيه على أن آخر الليل للصلاة والدعاء والاستغفار وغيرها من الطاعات أفضل من أوله(٤).

ومن يغفل عن مثل هذه الساعة، فقد حُرم الخير الكثير، عَنْ عَائِشَةَ ﷺ، قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنْهَا الوِتْرُ، وَرَكْعَتَا الفَجْرِ "(٥).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطَرِينَ "(١).

---

(١) أخرجه الترمذي(٢٥٢٧)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح(١٢٣٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى(١٠٢٤٨)، صحيح الجامع الصغير (٣٢٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٦).

(٤) شرح النووي على مسلم (٦/ ٣٧).

(٥) أخرجه البخاري(١١٤٠)، ومسلم(١٢٤).

ومن تأمل حال السلف مع قيام الليل يرى العجب، ويشعر بالخجل والتقصير، فعن عَنْ قَمِيرٍ، امْرَأَةِ مَسْرُوقٍ، قَالَتْ: " مَا كَانَ مَسْرُوقٌ يُوجَدُ إِلَّا وَسَاقَاهُ قَدِ انْتَفَخَتَا مِنْ طُولِ الْقِيَامِ فِي الصَّلاَةِ، قَالَتْ: وَاللهِ، إِنْ كُنْتُ لِأَجْلِسُ خَلْفَهُ، فَأَبْكِي رَحْمَةً لَهُ "(٢).

وقال أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ: " لَوْلَا ثَلاَثٌ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَعِيشَ يَوْمًا وَاحِدًا: الظَّمَأُ لِلَّهِ بِالْهَوَاجِرِ، وَالسُّجُودُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ قَوْمٍ يَنْتَقُونَ مِنْ خِيَارِ الْكَلاَمِ، كَمَا يُنْتَقَى أَطَايِبُ التَّمْرِ "(٣).

٥-قافلة ظمأ الهواجر:

جاءت السنة بذكر كثير من فضائل الصيام وفوائده، فمنها أن الله يجبر به تقصير العبد في الفرائض، ثم إن صيام التطوع زيادة قربة وامتثال وطاعة لله عز وجل، فتزيد من محبة الله للعبد كما في الحديث الصحيح: ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ))(٤).

فالتقرب بالنوافل يزيد من حسنات العبد ويرفع من درجته، ويوجب محبة الله للعبد، وبقدر حرص الإنسان على فعل النوافل والطاعات يكون أقرب لمحبة الله، فأولى الناس بمحبة الله من حافظ على النوافل وأكثر منها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ "(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود(١٤٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢١٨٩).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى(١١٨٦٨)، الزهد والرقائق لابن المبارك (٩٥).

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك (٢٧٧).

(٤) أخرجه البخاري(٦٥٠٢)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

(٥) أخرجه أحمد(٩٢٢٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٨٧٩).

وعَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ "(١).

ومن عِظم فضل الصيام إضافته لله تعالى تشريفاً لقدره وتعريفاً بعظيم فخره، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَالَ اللَّهُ: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"(٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا"(٣).

فالصوم من العبادات الجليلة، اختصه الله لنفسه ووعد عليه بالأجر العظيم، وهو وقاية من المعاصي ووقاية من النار، وسبب للبعد عنها يوم القيامة، فحري بالمؤمن المبادرة إلى هذا العمل العظيم وتحمل ما فيه من المشقة اليسيرة التي يعقبها الفرح العظيم عند الفطر وعند لقاء الله عز وجل يوم القيامة(٤).

فاغتنم أيامك بالخير وسارع وبادر حتى تكون على أفضل حال ، نسأل الله أن يكتب لنا وإياكم الخير

---

(١) أخرجه البخاري(١٨٩٦)، ومسلم(١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري(١٩٠٤)، ومسلم(١٦٣).

(٣) أخرجه البخاري(٢٨٤٠)، ومسلم(١٦٨).

(٤) انظر الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية(ص: ٢٥)، للشيخ/ د. راشد بن حسين العبد الكريم.

obeikandl.com

كيف تواجه الشهوات

تعريف الشهوات أسباب إثارة الشهوات كيف تواجه الشهوات؟ آفات الشهوات

تعريف الشهوات:

الشَّهَوَاتُ: جَمْعُ شَهْوَةٍ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْمُشْتَهَيَاتُ، عَبَّرَ عَنْهَا بِالشَّهَوَاتِ مُبَالَغَةً فِي كَوْنِهَا مَرْغُوبًا فِيهَا، أَوْ تَحْقِيرًا لَهَا لِكَوْنِهَا مُسْتَرْذَلَةً عِنْدَ الْعُقَلاَءِ مِنْ صِفَاتِ الطَّبَائِعِ الْبَهِيمِيَّةِ(١).

والشهوة: ميل النفس. وأصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده وذلك في الدنيا ضربان صادقة وكاذبة فالصادقة ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة ما لا يختل من دونه، وقد يسمى المشتَهَى شهوة وقد يقال للقوة التي تشتهِي الشيء شهوة(٢).

أسباب إثارة الشهوات:

١ - ضعف الإيمان واليقين بالله:

فالجهل به سبحانه، وعدم محبته وإجلاله وتعظيمه وخشيته تجعل الإنسان يستخف بوعد الله عز وجل ووعيده، والله سبحانه لا تخفى عليه خافية، قال الله عز وجل: {عْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}[غافر: ١٩](٣).

قال ابن القيمرحمه الله: ومن ظن أنه يقوى على ترك المخالفات والمعاصي بدون الإيمان الراسخ الثابت فقد غلط، فإذا قوى سراج الإيمان في القلب، وأَضاءَت جهاته كلها به،

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٧١).

(٢) انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣/ ٥٧)، المفردات للراغب الأصفهاني (ص: ٢٧٠).

(٣) نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٤٠)، للدكتور سعيد بن وهف القحطاني.

وأشرق نوره في أرجائه، سرى ذلك النور إلى الأعضاء، وانبعث إليها، فأسرعت الإجابة لداعي الإيمان، وانقادت له طائعة مذللة غير متثاقلة ولا كارهة بل تفرح بدعوته حين يدعوها، كما يفرح الرجل بدعوة حبيبه المحسن إليه إلى محل كرامته. فهو كل وقت يترقب داعيه، ويتأهب لموافاته. والله يختص برحمته من يَشاءُ، والله ذو الفضل العظيم[١].

فَوَ اللهِ، لَوْلا اللهُ يُسْعِدُ عَبْدَهُ. . . تَوْفِيقِه وَاللهُ بِالْعَبْدِ أَرْحَمُ

لَمَا ثبَتَ الإيمَانُ يَوْماً بِقَلْبِهِ. . . . . عَلَى هذِه العِلاّتِ وَالأَمْرُ أَعْظَمُ

وَلا طَاوَعَتْهُ النّفْسُ في تَرْكِ شَهْوَةٍ. . . مَخَافَةَ نَارٍ جَمْرهَا يَتَضَرَّمُ

وَلا خَافَ يَوْماً منْ مَقَامِ إلهِهِ. . . عَلَيْهِ بحُكْمِ القِسْطِ إذْ لَيْسَ يَظْلِمُ

٢ - اتباع الشيطان:

قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [النور: ٢١]

فالشيطان هو أخبث عدو للإنسان، قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: ٦].

فقد أعملَ الشيطانُ مكائده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم، وأفشى بينهم فتنة الشبهات والشهوات، ولم تزل هاتان الفتنتان تتزايدان شيئًا فشيئًا حتى استحكمت مكيدة الشيطان وأطاعه أكثر الخلق، فمنهم من دخل في طاعته في فتنة الشبهات، ومنهم من دخل في فتنة الشهوات، ومنهم من جمع بينهما[٢].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم(ص: ٢٧٥).

(٢) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (ص: ٣١٧).

والسبب في ذلك كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: خلو القلب مما خُلِقَ له، من عبادة الله تعالى التي تجمع محبته وتعظيمه، والخضوع والذل له، والوقوف مع أمره، ونهيه ومحابَّه ومساخطه. فإذا كان في القلب وجدان حلاوة الإيمان وذوق طعمه أغناه ذلك عن محبة الأنداد وتأليهها.

وإذا خلا القلب من ذلك احتاج إلى أن يستبدل به ما يهواه، ويتخذه إلهه، وهذا من تبديل الدين، وتغيير فطرة الله التي فطر الناس عليها(١).

٣-حب الأموال والأولاد وإيثار الدنيا على الآخرة:

فأما الأموال والأولاد: فهي اختبار وابتلاء من الله لخلقه، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه.

قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }[التغابن: ١٤، ١٥]

وقال تعالى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}[سبأ: ٣٧]

أي: إِنَّ اَمْوَالَكُمُ التي تُفَاخِرُونَ النَّاسَ بِها، وَأَوْلادَكُم الذِينَ تَسْتَكْبِرُونَ بِهِمْ عَلَى النَّاسِ، لا تُقَرِّبُكُمْ مِنَ اللهِ، وَلَيسَتْ دَليلاً عَلَى عِنَايَتِهِ بِكُمْ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً جَزَاءَ عَمَلِهِ فَيَجْزِيهِ بِالحَسَنَةِ عَشَرَةَ أَمْثَالِها إِلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وَيُدْخِلُهُ الجَنَّةَ، وَيَجْعَلُ مَسْكَنَهُ فِي غُرُفَاتِها العَالِيَةِ، وَهُوَ آمِنٌ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَشَرٍّ وَهَوْلٍ(٢).

وأما إيثار الحياة الدنيا على الآخرة: قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: ٣٧ - ٣٩]

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم(٢/ ١٥٦).

(٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٢٤).

وقال تعالى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه: ١٣١].

وقد حذر النبي ﷺ أمته من الركون إلي الدنيا والتنافس فيها،

فعن عَمْرَو بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: « فَوَ اللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ »(١).

قال ابن بطال رحمه الله: في هذا الحديث تنبيه على أن زهرة الدنيا ينبغي أن يخشى سوء عاقبتها وشر فتنتها من فتح الله عليه الدنيا، ويحذر التنافس فيها والطمأنينة إلى زخرفها الفاني؛ لأن النبي ﷺ خشى ذلك على أمته، وحذرهم منه لعلمه أن الفتنة مقرونة بالغنى، وقوله ﷺ، في حديث أبى سعيد الخدري رضي الله عنه: « وإنَّ ممَّا يُنبتُ الربيعُ يَقتُلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ »(٢)، فهو أبلغ الكلام في تحذير الدنيا والركون إلى غضارتها، وذلك أن الماشية يروقها نبت الربيع فيكثر أكلها فربما تفتقت سمنًا فهلكت، فضرب النبي ﷺ هذا المثل للمؤمن أن لا يأخذ من الدنيا إلا قدر حاجته، ولا يروقه زهرتها فتهلكه. وقال الأصمعي: والحبط: هو أن تأكل الدابة فتكثر، حتى تتنفخ بذلك بطنها وتمرض عنه. وقوله ﷺ: **(أو يلمُ)**، يعني يُدنى من الموت(٣).

٤ -ومن أسباب انتشار الشهوات وإثارتها:

• **القنوات الفضائية:** فما يبثُ عبر تلك القنوات من برامج ومسلسلات وأغاني

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم(٢٩٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٧).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٥٥).

وأفلام، تدور معظم موادها على الحب والغرام والخيانة الزوجية والعري والمجون والقبلات وذبح الحياء ووأد الفضيلة والتندر بالأحكام الشرعية والاستهزاء ببعضها كحكم تعدد الزوجات، وقوامة الرجل على المرأة. وهكذا هي هذه القنوات، إنها مصيدة الشيطان التي من وقع في شراكها فسد طبعه، وقلت غيرته، وأصبح أسيراً لشهواته وغرائزه.

• **الإنترنت:** وهي عقبة وقع في شراكها كثير من الناس إلا من رحم الله، فأصبح الإنترنت لديهم مادة لإثارة الغرائز عن طريق الدخول إلى المواقع الإباحية بما فيها من عري وخلاعة وشذوذ، والإنترنت في ذاته له فوائد يعرفها كل أحد، فهي أداة سريعة للمعرفة واستدعاء المعلومات في شتى مناحي الحياة والعلوم، ولكنها تحتاج إلى تقنين في التعامل والحرص على النفس والتقوى. ولله درُّ القائل:

تفنى اللذائذ ممن نال صفوتها. . . من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها. . . لا خير في لذة من بعدها النار

• **الخلوة والاختلاط:** وهما من أكبر أسباب انتشار الفواحش والوقوع في العلاقات المحرمة بين الرجال والنساء.

أما الخلوة، فقد قال النبي ﷺ: «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ »[1].

وما نراه اليوم في مجتمعنا -إلا من رحم ربك- هو أكبر دليل على صحة هذا الحديث، فقد كثرت الشكاوى من تحرش الرجال بالنساء، وربما أفضى ذلك إلي الوقوع في الفاحشة، وهتك الأعراض.

وأما الاختلاط: فهو من وسائل الشيطان لإفساد القلوب وإثارة الغرائز واتباع الشهوات.

---

(١) أخرجه الترمذي(١١٧١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣١١٨).

قال ابن القيم رحمه الله: ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة الخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة. ولما اختلط البغايا بعسكر موسى عليه السلام، وفشت فيهم الفاحشة: أرسل الله إليهم الطاعون، فمات في يوم واحد سبعون ألفا، والقصة مشهورة في كتب التفاسير[١].

• **إطلاق البصر:** فالبصر أمر خطير، فالرجل مأمور بغض بصره والمرأة مأمورة بغض بصرها كالرجال، فما فسدت الرجال إلا من جراء إطلاق البصر، وما تهتكت الحرمات إلا بسبب البصر. ولله درُّ القائل:

كل الحوادث مبداها من النظر . . ومعظم النار من مستصغر الشرر [٢].

كيف تـواجَـه الشهوات؟.

و الناس بالنسبة للشهوات على قسمين:

الأول: قسم جعلوها هي المقصودة، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها، ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي وجه حصَّلُوها، فهؤلاء كانت لهم زاداً إلى دار الشقاء والعناء والعذاب.

والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها، وأن الله جعلها امتحاناً وابتلاء لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته، على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة لهم وطريقاً يتزودون منها

---

(١) الطرق الحكمية (ص: ٢٣٩) لابن القيم.

(٢) نداء إلى العفيفات {وأن يستعففن خير لهن} (ص: ١٥).

لآخرتهم، وجعلوها معبراً إلى الدار الآخرة، ومتجراً يرجون بها سكن القصور الفاخرة. فهؤلاء صارت لهم زاداً إلى الجنة، وإلى مرضاة ربهم. وهؤلاء المستحقون لها لهم صفات: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}[آل عمران: ١٦، ١٧] (١).

ومما يساعد على دفع الشهوات:

١-دوام المراقبة لله والخوف منه سبحانه:

فالْمُرَاقَبَةُ هي: دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ، وَتَيَقُّنِهِ بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ(٢).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } [الملك: ١٢].

يخبر الله عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبا عن الناس، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله، بأنه له مغفرة وأجر كبير، أي: يكفر عنه ذنوبه، ويجازى بالثواب الجزيل، كما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، منهم وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ »(٣).

٢-غض البصر:

قال ابن القيم رحمه الله: ومن أطلق لحظاته دامت حسراته، **وفي غض البصر عدة منافع:**

أحدها: أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد، فليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامره، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

---

(١) موسوعة فقه القلوب (١/ ١٠٣٠)، للشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٦٥)، لابن القيم.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ١٧٩)، والحديث أخرجه البخاري (٦٨٠٦)، ومسلم(٩١).

الثانية: أنه يورث القلب أنسا بالله، فإن إطلاق البصر يفرق القلب ويشتته، ويبعده عن الله، وليس على القلب شيء أضر من إطلاق البصر، فإنه يورث الوحشة بين العبد وربه.

الثالثة: أنه يقوي القلب ويفرحه، كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه.

الرابعة: أنه يكسب القلب نورًا، كما أن إطلاقه يلبسه ظلمة، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ } [النور: **٣٠**]. ثم قال إثر ذلك: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} [النور: **٣٥**]. أي مثلُ نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل أوامره واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان.

الخامسة: أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، والصادق والكاذب[١].

وقال رجل للجنيد بم أستعين على غض البصر؟. فقال بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه[٢].

٣-الاستعانة بالأعمال الصالحة:

كالصلاة والصيام والصدقة وغيرها من الأعمال الصالحة، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النَّبِيَّ ﷺ قال: « الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ " ثُمَّ قَرَأَ: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة: ١٦] »[٣].

---

(١) الداء والدواء (ص: ١٧٨)، لابن القيم.

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٩٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه(٣٩٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٨٦٥).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ، أنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ »(١).

إن المعاصي تزرع أمثالها، وتولد بعضها بعضًا، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فالعبد إذا عمل حسنة قالت أخرى إلى جنبها: اعملني أيضًا، فإذا عملها، قالت الثالثة كذلك وهلم جرا، فتضاعف الربح، وتزايدت الحسنات. وكذلك كانت السيئات أيضًا، حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة، وصفات لازمة، وملكات ثابتة، فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأحس من نفسه بأنه كالحوت إذا فارق الماء، حتى يعاودها، فتسكن نفسه، وتقر عينه. ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة؛ لضاقت عليه نفسه وضاق صدره، وأعيت عليه مذاهبه، حتى يعاودها، ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله سبحانه وتعالى برحمته عليه الملائكة تؤزه إليها أزًا، وتحرضه عليها، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها. ولا يزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها، حتى يرسل الله إليه الشياطين، فتؤزه إليها أزا. فالأول قوي جند الطاعة بالمدد، فكانوا من أكبر أعوانه، وهذا قوي جند المعصية بالمدد فكانوا أعوانا عليه(٢).

آفات الشهوات:

إن الذنوب والمعاصي تضر ويصل ضررها إلى القلب كضرر السموم في الأبدان

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم(١٤٠٠).

(٢) الداء والدواء (ص: ٥٥)، لابن القيم.

على اختلاف درجاتها في الضرر، فهي تورث الذل وتفسد العقل وتضعف الغيرة وتذهب الحياء، وتزيل النعم وتمحق البركة، واتباع الشهوات يسبب ألمًا وأذىً في العاجل، ومنع لذاتٍ في الآجل فالعاقل من ينهى نفسه عن لذة يعقبها ألما وشهوة تورث ندمًا(١).

ومن آفات الشهوات:

١-سبب في هوان العبد على ربه:

قال الحسن البصري رحمه الله: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله تعالى: {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} [الحج: ١٨]

فأهل العصيان وإن عظَّمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفًا من شرهم، فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه هوان المعاصي على المصرين لا يزال العبد يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله(٢).

٢-تورث الذل للعبد:

فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى، قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر: ١٠] أي: من كان يحب أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها(٣).

٣- تورث مرض القلوب:

قال ابن القيم رحمه الله: وقد أجمع السائرون إلى الله أن القلوب لا تعطى مناها حتى

---

(١) انظر الداء والدواء (ص: ٤٢)، لابن القيم. ذم الهوى (ص: ١٣)، لابن الجوزي.

(٢) الداء والدواء (ص: ٥٨)، لابن القيم.

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٣٦).

تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة، ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها، فيصير نفس دوائها، ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها، فهواها مرضها، وشفاؤها مخالفته، فإن استحكم المرض قتل أو كاد(١).

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»(٢).

٤ -سبب في دخول النار:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»(٣).

وهذا من بديع كلامه ﷺ وجوامعه الذى أوتيه من التمثيل الحسن، فإن حفاف الشيء جوانبه، فكأنه أخبر ﷺ أنه لا يوصل إلى الجنة إلا بتخطي المكاره وكذلك الشهوات، وما تميل إليه النفوس، وأنّ اتباع الشهوات يلقى فى النار ويدخلها وأنه لا ينجو منها إلا من تجنب الشهوات. وفيه تنبيه على اجتنابها(٤).

فأما المكاره: فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها والصبر على

---

(١) الداء والدواء (ص: ٧٦)، لابن القيم.

(٢) أخرجه مسلم(٢٣١).

(٣) أخرجه مسلم (٧٢٣٢).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض(٨/ ٣٥٧).

مشاقها وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلى المسيء والصبر عن الشهوات ونحو ذلك.

وأما الشهوات: التي النار محفوفة بها فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والنظر إلى الأجنبية والغيبة واستعمال الملاهي ونحو ذلك وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه لكن يكره الإكثار منها مخافة أن يجر إلى المحرمة أو يقسي القلب أو يشغل عن الطاعات أو يحوج إلى الاعتناء[1].

ولله درُّ القائل:

صبرت على الأيام حتى تولت. . . . وألزمت نفسي صبرها فاستمرت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى. . . فإن طمعت تاقت وإلا تسلت.

وإن في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عبر ودروس كفيلة بأن تنشئ جيلاً صالحًا ومجتمعًا فاضلاً، لا يعرف للرذيلة طريقًا، ولا للخيانة سبيلاً، ولا للفاحشة داعيًا، ولذلك ذكر الله لنا في كتابه أخبارهم وسيرهم وما ابتلوا به وكيف صبروا عليها. وما أحوجنا أن نعرف سير الأنبياء والصالحين، وأن نستلهم دروسها ونعقل معناها، قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}[العنكبوت: ٤٣].

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٦٥).

obeikandl.com

أين الغَـيْرةُ على الأعراض؟

إن من الضروريات الكبرى التي جاء الإسلام بها وحث عليها، هي المحافظة على الأعراض وصيانتها، ومن أجل ذلك حرَّم ربنا تبارك وتعالى الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: ٣٣]

وقال النبي ﷺ: ((لاَ أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ))(١).

وكيف يصح لعبد أن يدعي محبةَ الله والإيمانَ به، وهو لا يغار لمحارمه إذا انتهكت ولا لحقوقه إذا ضيعت، وإذا ترحلت الغيرة(٢)من القلب ترحل منه الدين(٣).

ولقد اعتبر الشارع مَنْ قُتل في سبيل الدفاع عن عرضه شهيدًا، ففي الحديث أن النبيﷺ: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ))(٤).

وإن من الناس من لا يبالي لو فقد نفسه وماله كله في سبيل الدفاع عن عرضه، ولله در حسان بن ثابت رضي الله عنه حين قال:

أصونُ عرضي بمالي لا أدنِسهُ ... لا بَارَكَ اللَّهُ بعدَ العِرْضِ في المالِ(١).

---

(١) أخرجه البخاري(٤٦٣٤)، ومسلم(٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) وانظر روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم (ص: ٢٧٤).

(٣) الوارد في المعاجم القديمة والحديثة "**غَيْرَة**" **بفتح الغين** بهذا المعنى، قال في المصباح: غار الرجل على امرأته .. غَيْرة بالفتح، قال ابن السكيت: ولا يقال غِيرَة بالكسر.

(٤) أخرجه الترمذي(١٤٢١) من حديث سعيد بن زيد، وصححه الألباني في المشكاة(٣٥٢٩).

وما نراه اليوم من انتكاس مفهوم الغيرة لدى كثير من الناس، لهو من أكبر المصائب التي تنبئ بهدم المجتمع بأسره، فالنساء اليوم أصبحن يملأن الشوارع والأسواق يخرجن وهن متبرجاتٍ متهتكاتٍ سافراتٍ عن الوجوه، قد وضعن على وجوههن جميع أنواع المساحيق والزينة-إلا من رحم ربك- والعجيب في ذلك أنك ترى مع المرأة المتبرجة السافرة إما أخاها أو أباها أو زوجها، يمشي معها ويضاحكها على مرأى من الناس، لا يستحي من ربه، ولا يستحي من نفسه، ولا يخجل من مشاهدة الناس له، بل ولا يغار على زوجته أو ابنته أو أخته، وقد خرجت بهذه الهيئة في أبهى زينةٍ قد عصت الله ورسوله، ترمقها كل عين خائنة وكأنه لم يصنع شيئًا بدعوى التقدمية والحرية والتحضر.

فأين غَيرةُ الرجال من غَيرةِ نبينا ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم؟!.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا} [النور: ٤] قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ: أَهَكَذَا أُنْزِلَتْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَلُمْهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ، وَاللهِ مَا تَزَوَّجَ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا بِكْرًا، وَمَا طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ قَطُّ، فَاجْتَرَأَ رَجُلٌ مِنَّا عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مِنْ شِدَّةِ غَيْرَتِهِ، فَقَالَ سَعْدٌ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهَا حَقٌّ، وَأَنَّهَا مِنَ اللهِ وَلَكِنِّي قَدْ تَعَجَّبْتُ أَنِّي لَوْ وَجَدْتُ لَكَاعًا قَدْ تَفَخَّذَهَا رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَهِيجَهُ وَلَا أُحَرِّكَهُ، حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، فَوَ اللهِ لَا آتِي بِهِمْ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ(٢).

---

(١) ديوان حسان بن ثابت (ص: ١٧٢).

(٢) أخرجه أحمد(٢١٣١) بهذا اللفظ. وأصله في البخاري(٦٨٤٦)، ومسلم(١٧).

وفي رواية الصحيحين: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ(١)، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ((أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي))(٢).

وأين حياء النساء من ابنة شيخ مدين لما جاءت إلي موسى عليه السلام؟!.

حيث قال الله تعالى عنها: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} [القصص: ٢٥]

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "لم تكن سلفعًا(٣) من النساء خرَّاجة ولَّاجَة، قائلة بيدها على وجهها {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا}"(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦] قال: "فأحفظته الغيرة أن قال: وما يدريك ما قوته وأمانته؟ قالت: أما قوته، فما رأيت منه حين سقى لنا، لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه؛ وأما أمانته، فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب

---

(١) وَإِنَّمَا أَرَادَ سعدٌ أَنه لَو وجد رجلاً مَعَ امْرَأَته لضربه بِحَدّ سَيْفه لَا بعرضه وَلم يصبر إِلَى أَن يَأْتِي بأَرْبَعَة شُهَدَاء. وانظر غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٤٥٧).

(٢) أخرجه البخاري(٦٨٤٦)، ومسلم(١٧).

(٣) المرأة السلفع: السليطة الجريئة على الرجال الوقحة. وانظر العين (٢/ ٣٣١)، وغريب الحديث للخطابي (٢/ ٥٤٨)، و النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(٢/ ٣٩٠).

(٤) أخرجه الطبري في التفسير(١٩/ ٥٥٩)، والحاكم في المستدرك (٣٥٣٠)، وقال صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين، فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت "[١].

هكذا كانت غَيرَة الرجال، وهكذا كان حياء النساء!.

ولقد كان العرب في الجاهلية يعُدُّون المرأة ذروة شرفهم وعنوان عرضهم، ولذا تفننوا في المحافظة عليها، حتى يظل شرفهم سليمًا من الدنس، وعرضهم بعيدًا من أن يمس.

حتى إن الواحد منهم لو رأى جارته خارجة غض طرفه عنها خوفًا على عرض جاره لذا قال أحدهم:

وأَغُضُّ طَرفي ما بدَتْ لي جارَتي ... حتى يُواري جارتي مأْواها

إني امرؤٌ سَمْحُ الخليقةِ ماجدٌ ... لا أتبعُ النفسَ اللَّجوجَ هواها [٢].

فأين هؤلاء اليوم من بعض الشباب الذين يتسكعون في الشوارع والأسواق يتلصصون حول الحرمات لا هم لهم سوى السعي وراء الشهوات؟!.

الغيرة من صفات الله وعباده المؤمنين:

لقد جاءت الأحاديث بإثبات صفة الغيرة لله عز وجل، ونحن نؤمن بأن الله يغار كما أخبر عنه أعرف الخلق به، وهي غيرةٌ تليق بجلال الله تعالى وعظمته، ولا تماثل غيرة أحد من المخلوقين، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[الشورى: ١١][٣].

---

(١) تفسير الطبري(١٨/ ٢٢٥).

(٢) ديوان عنترة بن شداد.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية(٤/ ١٨١)، (٦/٢٣٥)، ورسالة في شرح قاعدة أهل السنة، لوليد السعيدان (ص: ٤٠).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((**إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ**))(١).

وفي لفظ: ((**الْمُؤْمِنُ يَغَارُ، وَاللَّهُ أَشَدُّ غَيْرًا**))(٢).

قال ابن القيم: "الْغَيْرَةُ نَوْعَانِ: غَيْرَةُ الْحَقِّ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ، وَغَيْرَةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ لَا عَلَيْهِ.

فَأَمَّا غَيْرَةُ الرَّبِّ عَلَى عَبْدِهِ: فَهِيَ أَنْ لَا يَجْعَلَهُ لِلْخَلْقِ عَبْدًا. بَلْ يَتَّخِذُهُ لِنَفْسِهِ عَبْدًا. فَلَا يَجْعَلُ لَهُ فِيهِ شُرَكَاءَ مُتَشَاكِسِينَ. بَلْ يُفْرِدُهُ لِنَفْسِهِ. وَيَضِنُّ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ. وَهَذِهِ أَعْلَى الْغَيْرَتَيْنِ"(٣).

وأعظم الناس غيرة على الأعراض الأنبياء صلوات الله عليهم ثم الأمثل فالأمثل، وفي الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ قَالَ: " بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ))(٤).

ومن غَيرَة عُمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أشار على النبي ﷺ أن يحجب نساءه، وذلك قبل نزول آية الحجاب، قال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري(٤٩٢٥)، ومسلم(٣٦).

(٢) أخرجه مسلم(٣٨).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم(٣/ ٤٥).

(٤) أخرجه البخاري(٣٢٤٢)، ومسلم(٢٠).

(٥) أخرجه البخاري(٤٠٢).

ورَوَى ابن كثير بِسَنَدِهِ: "أَنَّ امْرَأَةً تَقَدَّمَتْ إِلَى قَاضِي الرَّيِّ فَادَّعَتْ على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأنكره فَجَاءَتْ بِبَيِّنَةٍ تَشْهَدُ لَهَا بِهِ، فَقَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تُسْفِرَ لَنَا عَنْ وَجْهِهَا حَتَّى نَعْلَمَ أَنَّهَا الزَّوْجَةُ أَمْ لَا، فَلَمَّا صَمَّمُوا عَلَى ذَلِكَ قَالَ الزَّوْجُ: لَا تَفْعَلُوا هِيَ صَادِقَةٌ فِيمَا تَدَّعِيهِ، فَأَقَرَّ بِمَا ادَّعَتْ لِيَصُونَ زَوْجَتَهُ عن النظر إلى وجهها. فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه، وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر: هو فِي حِلٍّ مِنْ صَدَاقِي عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخرة"(١).

وكم في الناس من غيور؟!

ولم تقتصر الغيرة على الرجال فقط، بل كان من النساء من يَغرْنَ على أعراضهن، ويخفن من غَيرَة أزواجهن.

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، قَالَتْ: كُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ: ((إِخْ إِخْ))، لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ "(٢).

ولقد أحسن من قال في وصف المرأة الحرة العفيفة:

يَعِزُّ عَلَى مَنْ يَطْرُقُ الْبَابَ لَفْظُهَا ... جَوَابًا فَلا عَقْدًا تَرَاهُ وَلا حَلا

---

(١) البداية والنهاية(١١/ ٨١).

(٢) أخرجه البخاري(٥٢٢٤)، ومسلم(٣٤).

يُطِيلُ وُقُوفًا لا يُجَابُ مُحَرَّمٌ عَلَيْهَا كَلامُ الأَجْنَبِيِّ وَإِنْ قَلا

فالذي لا يغار على أهله وعرضه أين يهرب من سؤال الله عن ذلك؟

وقد قال النبيﷺ: ((وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ))(١).

فكيف ينعم إنسان يعلم أنه مسئول أمام الله عز وجل عن أهله، وهو يترك زوجته أو أخته أو بنته تخرج بزي غير شرعي؟!.

وقال محمد بن نصر المروزي: "الْغَيْرَةُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَعَدَمُهَا مِنَ النِّفَاقِ"(٢).

وليست الغيرة قاصرةً على الآدميين فقط، بل إنه لمن العجب ما ذُكر عن الحيوانات والطيور وغيرتها، كالمعز والديكة والإبل والقردة، **ولله در ابن حزم حين قال:** " ولعمري إن الغيرة لتوجد في الحيوان بالخلقة، فكيف وقد أكدتها عندنا الشريعة، وما بعد هذا مُصاب"(٣).

ومع هذا لا ندري أين ذهبت الغيرة عند الكثير من المسلمين؟!.

أسباب انعدام الغيرة:

١- الذنوب والمعاصي:

إن للمعصية عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة، ومن عقوبتها "أَنَّهَا تُطْفِئُ مِنَ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ الَّتِي هِيَ لِحَيَاتِهِ وَصَلاَحِهِ كَالْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ لِحَيَاةِ جَمِيعِ الْبَدَنِ، وكُلَّمَا اشْتَدَّتْ مُلاَبَسَةُ العبدِ لِلذُّنُوبِ أَخْرَجَتْ مِنْ قَلْبِهِ الْغَيْرَةَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَعُمُومِ النَّاسِ، وَقَدْ تَضْعُفُ فِي الْقَلْبِ جِدًّا حَتَّى لَا يَسْتَقْبِحَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَبِيحَ لَا مِنْ نَفْسِهِ وَلَا

---

(١) أخرجه البخاري(٢٥٥٤)، ومسلم(٢٠). من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (١/ ٤٦٩).

(٣) رسائل ابن حزم (١/ ٢٧٩).

مِنْ غَيْرِهِ، وَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَقَدْ دَخَلَ فِي بَابِ الْهَلاَكِ. وَلِذَا كان أَشْرَفُ النَّاسِ وَأَعْلاَهُمْ هِمَّةً أَشَدُّهُمْ غَيْرَةً عَلَى نَفْسِهِ وَخَاصَّتِهِ وَعُمُومِ النَّاسِ، هُو النَّبِيُّ ﷺ أَغْيَرَ الْخَلْقِ عَلَى الْأُمَّةِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَشَدُّ غَيْرَةً مِنْه(١).

٢- الجهل بالعقوبات:

عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((ثَلاَثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ، الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ))(٢).

قال الطيبي: "الدَّيوث الذي يرى في أهله ما يسوءه ولا يغار عليهم ولا يمنعهم، فيقر في أهله الخبث"(٣).

٣- سوء التربية:

إن الإنسان بطبعه يتأثر بمن يعاشرهم ويحتك بهم، وإن التربية من أكبر الأسباب التي تؤثر في بناء الإنسان، وإن الشخص إذا نشأ نشأةً غير مستقيمة، وقصَّر الأب أو قصرت الأم في تربية ابنها وابنتها؛ فإن الذي يجني عواقب سوء التربية هو ذلك الابن بعد سنين طالت أم قصرت، وإذا كان الابن ينشأ في بيتٍ مليءٍ بالخصام والسباب، وإذا رأي الابن أباه منشغلاً بمتابعة المباريات والأفلام والمسلسلات وما فيها من المخالفات الشرعية، لا يغار على أهله أن يروا مثل هذه التفاهات، فكيف يكون حال هذا الولد بعد ذلك؟! ثم هل سيكون هذا الولد رجلاً يومًا ما يتحمل المسئولية؟. وإذا

---

(١) وانظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (ص: ٦٦-٦٧).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى(٢٣٥٤)، وأحمد في المسند(٥٣٧٢) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٣٠٥٢).

(٣) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٨/ ٢٥٥٦).

obeikandi.com

رأت البنت أمها منشغلةً بمتابعة أخبار الموضة، وأسعار الملابس والفساتين فهل ستكون البنت أمًا تتحمل مسئولية بيتها يومًا ما؟!

إن للتربية تأثيرًا قويًا في حياة الأبناء، فإذا نشأ الولد وتربى على سماع الحق صار من أهله بإذن الله، وإذا تربى على الباطل صار من أهله إلا من عصمه الله تعالى.

وكم من قتيلٍ بالمعاصي والكبائر والذنوب قُتل قديمًا حينما غفل أبواه عن تربيته؟!

ونسوا قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحريم: ٦]

ونسوا قول رسول الله ﷺ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))(١).

٤- التشبه بغير المسلمين:

ولقد حذر النَّبِيُّ ﷺ أمته من التشبه بغير المسلمين فقال: ((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ"، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: "فَمَنْ"؟))(٢)

ولقد ظهرت في زماننا طائفةٌ من ضعفاء الإيمان ممن تأثروا بالحضارة الغربية، والتقدم التقني والاقتصادي الغربي، ظنوا أنهم لابد من تقليدهم في اللباس والهيئة والسلوك، حتى يتقدموا ويتحضروا مثلهم؛ لذا تراه يسمح لنسائه بالتبرج، ولبس ثياب غير شرعية كالملابس الضيقة والقصيرة، والخفيفة التي تُظهر ما تحتها، مثل (البنطلون)، وغير ذلك من ملابس التبرج دون أن يغار عليهن ويحميهن.

---

(١) أخرجه البخاري(٢٥٥٤)، ومسلم(٢٠). من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري(٣٤٥٦). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ومن فضل الله علينا أن في شرعنا ما يكفينا، فلا حاجة لنا في تقليد غيرنا، ولقد نظم الإسلام جميع حياتنا، وحدد كل ما يحتاجه المسلم وما ينفعه من مطعمٍ وملبسٍ وغير ذلك.

فالنفع كل النفع في التمسك بمنهج الله ومنهج رسوله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

ولله در القائل:

مَنْ حَادَ عَنْ خُلُقِ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ الغُرِّ فَهْوَ لَيْسَ بِسَالِمِ

٥- الخلوة والاختلاط:

ولقد شدَّد الشارع في النهي عن الخلوة والاختلاط والتحذير منهما، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: ((أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِالْمَرْأَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ))[١]، ولا يشك عاقل في أن كثرة الاختلاط بين الرجل والمرأة تفضي إلى الفاحشة وتُذهب الغيرة وتؤدي إلي هتك الأعراض وتدنيس الشرف، وقد قيل: إن كثرة الإمساس تذهب الإحساس[٢].

وذُكر أن امرأةً من العرب يقال لها هند بنت الخُسِّ زنت بعبدها وكانت العرب تأنف من الزني بالحرائر فما بالك بالعبيد فقيل لها: لِمَ زَنَيْتِ بِعبدِك وأنتِ سيِّدةُ قومِكِ؟ فقالت: قُربُ الوِساد، وطولُ السِّواد. ومعناه: قُرْبَ وِسَادِ الرَّجُلِ مِنْ وِسَادَتِي، وطول المُساودة، أي المُسارّة، والمُخالَطة، وَالْخُلْوَةُ مِنْ وَرَاءِ الْأَسْتَارِ وَالْأَبْوَابِ[٣].

كيف السلامة والنجاة؟

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى(٩١٨٠) من حديث عمر بن الخطاب، وصححه الألباني في المشكاة(٦٠١٢).

(٢) وانظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٣/ ٢٨).

(٣) وانظر: المحاسن والأضداد للجاحظ(ص: ٢٥٠)، و الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (ص: ٢١٠).

والزاهر في معاني كلمات الناس للسيوطي (١/ ٢٤٣)، وتفسير المنار (١٢/ ٢٢٩).

إن من خلى قلبه من الإيمان خلت نفسهُ من الغيرة. وحُرم حلاوة الإيمان ولذتهُ، لأن صاحب الإيمان القوي خير وأحبُ إلى الله من المؤمن الضعيف. ومن خلى ذهنهُ وعقلهُ من الفقه في الدين، فقلبه خالٍ مفلس من الغيرة.

ومن الأسباب التي تنمي الغيرة:

١ - حسن التربية:

إن تربية الأبناء على القيم والأخلاق من أعظم الأسباب التي تنمي الغيرة في قلوبهم، ولا يمكن أن تؤتي التربية ثمارها إلا إذا كانت قائمةً على ضوء ما ثبت في الكتاب والسنة.

هي الأخلاقُ تنبتُ كالنباتِ إذا سُقيت بماء المَكْرُماتِ

تقومُ إذا تعهدها المُربي على ساقِ الفضيلة مُثمِرات [١].

ومن أفضل طرق التربية، التربية بالقدوة، ولله الحمد لم يخل تاريخنا من الصالحين الذين يُقتدى بهم، وليس أفضل من النبي ﷺ لنا قدوة، وقد قال الله عنه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١]

وليس أحدٌ يقتدى بأمره كله غير النبيﷺ. ولله در القائل:

هو الرسولُ فكُنْ في الشِّعْر حَسَّانَا وصُغْ مِنَ القلبِ في ذِكراهُ ألحانا

٢ - قوامة الرجل على أهله:

(١) ديوان معروف الرصافي (ص: ٧١).

وليست القوامةُ مغنمًا للزوج، ولا مغرمًا للزوجة؛ فللزوج حقوقٌ وواجبات، وللزوجة حقوقٌ وواجبات، وما من سفينةٍ إلا ولها قائدٌ واحدٌ يديرها بالتشاور والتعاون مع صحبته المرافقين له، وقد ثبتت القوامة للزوج بضوابطها الشرعية، قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} [النساء: ٣٤]

ولذا فإن الرجل هو المسئول الأول عن أهل بيته، فعليه أن يعلمهم أمور دينهم كما قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} [التحريم: ٦]، ولا يتساهل الرجل في ترك أبناءه دون توجيهٍ ولا تربية، وليحذر من سؤال الله يوم القيامة.

ومن واجبات الرجل على أهل بيته:

- أن يُلزمَ أهله بالحجاب الشرعي أمام الأجانب.
- أن يصون الرجل أهله من الاختلاط.
- أن يحذر من دخول الأجانب إلى بيته: فخلوة المرأة بالأجانب من أقربائها، هذا الذي يفوت بعض الرجال فيتساهلون فيه إحسانًا للظن، وإعمالاً لعاداتٍ تخالف ما شرعه الله سبحانه. فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهني ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ)) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: ((الحَمْوُ المَوْتُ))[1]، وقوله ﷺ: ((الحَمْوُ المَوْتُ))، فمعناه أن الخوف منه أكثر من غيره، والشر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي[2]. والحمو: هو قريب الزوج، وقد شبهه الرسول ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري(٥٢٣٢)، ومسلم(٢٠).

(٢) وانظر شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٥٤).

بالموت، وفي ذلك دلالةٌ بالغة الشدة في التحذير من دخول الأجانب إلى البيت، ولو كان القرين أخا الزوج إذا لم يكن مع الزوجة محرمٌ شرعي.

• أن يحفظ أهله من شبهات العصر ومن الفتن: فإن بعض الأزواج تجده أشد في غيرته على أهله، لكنه يناقض غيرته وحياءه، إذ يدخل إلى بيته من أسباب الفتنة العصرية ما يدفع أهله شيئًا فشيئًا إلى الشبهات. وتعد الفضائيات الأجنبية، والأغاني المسموعة والمرئية من الأسباب التي تلوث صفاء العفاف في البنات والزوجات.

٣ - حسن اختيار الزوجة:

فينبغي على صاحب البيت أن يختار الزوجة الصالحة بالشروط التي ذكرها النبي ﷺ بقوله: ((تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ))[1]. وإن كان العقد رغبةً في الدين فهو أوثق العقود حالًا وأدومها ألفة وأحمدها بدءًا وعاقبةً؛ لأن طالب الدين متبعٌ له ومن اتبع الدين انقاد له، فاستقامت له حاله، وأمِنَ زلَلَه. ولذلك قال النبي ﷺ ((فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ)).[2]

وإذا كانت المرأة ديِّنَة غرست في أبنائها أعظم الأخلاق والقيم

نسأل الله أن يصلح أحوالنا وأن يستر عوراتنا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم(٣٦٢٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أدب الدنيا والدين، لابن أبى الدنيا (ص: ١٥٦).

الهزيمة النفسية
أعراضها أسبابها و علاجها

أعراض الهزيمة النفسية أسبابها آثارها علاجها

مقدمة: إن أخطر مرض يُمكن أن تصاب به أمةٌ من الأمم هو اليأس والانكسار الداخلي. . . اليأس القتَّال، والخور المميت، والثقة المفقودة، كل هذه هي العدو الحقيقي، والعقبة الكبرى التي تواجه المسلمين، ولنأخذ العبرة مما حلَّ بيهود بني النضير حين غلبهم المسلمون حيث أنهم لم يُؤتَوا لنقصٍ في ذخيرتهم أو عددهم أو ضعف حصونهم، ولكن الله تعالى أصابهم بذنوبهم من داخلهم، إذ قذف في قلوبهم الرعب، فكان ذلك أكبر المصائب وكان العامل في تسليم ديارهم وتخريب بيوتهم. . . قال تعالى: { مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ } [الحشر: ٢]

فأول بوادر الهزيمة العسكرية لأي أمة، هي الهزيمة النفسية واليأس والإحباط، ولذلك سنبين أعراض هذا المرض وأسبابه ونتائجه وعلاجه نصحا لأمتنا وتحذيرا لها من أن يصيبها هذا المرض الخطير

أعراض الهزيمة النفسية

إن للهزيمة النفسية أعراضاً كثيرة خطيرة أهمها ما يلي:

العرض الأول: التقليد الأعمى للأمم الأخرى

بحجة التقدم والحضارة لدول الغرب وتأخر بلاد المسلمين نعق الناعقون بالتقليد الأعمى، والتبعية المقيتة لأهل الباطل، وهذا عرَضٌ من أعراض الهزيمة النفسية، **يقول**

obeikandl.com

ابن خلدون: المغلوب مولعٌ أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله. (١)

وقد أخبر النبي ﷺ عن وقوع ذلك في أمته إذا فقدوا ثقتهم بربهم وشرعهم، وطلبوا الرقي والتقدم من زبالات أفكار أعدائهم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ))، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: ((فَمَنْ)). (٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ))، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: ((وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ)). (٣)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلاَنِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ)). (٤)

العرض الثاني: اليأس من إمكانية التغيير

لما أرسل الله موسى رسولاً لبني إسرائيل؛ لينقِذَهم من ظلم فرعون، وليخرجهم من عبادة العِباد إلى عبادة ربِّ العباد – اتَّهموا موسى بأنَّه كان سببًا في أذيَّتهم؛ قال الله تعالى: { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ

---

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ١٨٤)

(٢) رواه البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩)

(٣) رواه البخاري (٧٣١٩)

(٤) رواه الترمذي (٢٦٤١) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٦/ ١٤١)

لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: ١٢٨، ١٢٩] فهم ومع أنَّهم يعلمون أنَّ موسى - عليه السلام - نبي من عند الله، وأنَّ في طاعتهم له فلاحًا لهم جميعًا - إلا أنَّ روحهم الانهزامية، التي ترفض التغيير، وتَميل إلى الرِّضا بالواقع - دفعتْهم إلى اتِّهام موسى - عليه السلام - أنَّه كان سببًا آخَر لأذيَّتِهم.

وهذا العرض الخطير أصاب بعض المسلمين في هذه الأيام ممن يرددون هذه الكلمات التي أصبحت تمثل معتقداً لدى بعض المسلمين فهم يرددون "لا فائدة"، "أنت تؤذن في خرابة"، "أنت تنفخ في رماد" "تفرغ لتجارتك. . ولأولادك!! لوظيفتك!! هلك الناس". . . . وقد شخَّص النبيُّ ﷺ هذه النفسيات المهزومة تشخيصاً دقيقاً، كما في حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)). (١)

قال النووي: روي أهلكهم على وَجْهَيْنِ مَشْهُورَيْنِ رَفْعُ الْكَافِ وَفَتْحُهَا وَالرَّفْعُ أَشْهَرُ وَمَعْنَاهَا أَشَدُّهُمْ هَلاَكًا وَأَمَّا رِوَايَةُ الْفَتْحِ فَمَعْنَاهَا هُوَ جَعَلَهُمْ هَالِكِينَ لَا أَنَّهُمْ هَلَكُوا فِي الْحَقِيقَةِ، **وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ** عَلَى أَنَّ هَذَا الذَّمَّ إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ قَالَهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِزْرَاءِ عَلَى النَّاسِ وَاحْتِقَارِهِمْ وَتَفْضِيلِ نَفْسِهِ عَلَيْهِمْ وَتَقْبِيحِ أَحْوَالِهِمْ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ سِرَّ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ قَالُوا فَأَمَّا مَنْ قَالَ ذَلِكَ تَحَزُّنًا لِمَا يَرَى فِي نَفْسِهِ وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّقْصِ فِي أَمْرِ الدِّينِ فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهِ. (٢)

فهذا عرَض خطير من أعراض الهزيمة النفسية ألا وهو اليأس من إمكانية التغيير لهذا الواقع المر الأليم الذي تحياه الأمة.

العرض الثالث: السلبية المقيتة المتمثلة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) رواه مسلم (٢٦٢٣)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٧٥)

لقد أظلت سماء الأمة سحابةٌ قاتمةٌ من هذه السلبية القاتلة، المسلم يرى أخاه المسلم على معصية ويهز كتفه ويمضي كأن الأمر لا يعنيه، **قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَنْ يَرَى مَحَارِمَ اللَّهِ تُنْتَهَكُ وَحُدُودَهُ تُضَاعُ وَدِينَهُ يُتْرَكُ وَسُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرْغَبُ عَنْهَا وَهُوَ بَارِدُ الْقَلْبِ سَاكِتُ اللِّسَانِ؟ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ، وَهَلْ بَلِيَّةُ الدِّينِ إِلَّا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِذَا سَلَّمْت لَهُمْ مَآكِلَهُمْ وَرِيَاسَاتِهِمْ فَلَا مُبَالَاةَ بِمَا جَرَى عَلَى الدِّينِ؟. (١)

فيُترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة هيبة الناس أو الحياء منهم، وقد نهانا رسول الله ﷺ عن ذلك كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ)). (٢)

ومن المعلوم من سُنن الله الماضية أن يُسَلِّط عقوباته على المجتمعات التي تفرِّط في شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **قال تعالى**: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة: ٧٨، ٧٩]

فالهلاك والضياع لمن فرّط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قدرته على ذلك، والنجاة لمن أمر ونهى مع التزام الضوابط الشرعية لذلك، ولنا في هذه الآيات عبرة وعظة، {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥]

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٢١)

(٢) رواه أحمد (٣/ ٥٣) والترمذي (٢١٩١) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٣٢٢)

وقال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} [هود: ١١٦]

فنحن جميعاً نركب سفينة واحدة فيها الصالح والطالح، إن نجت السفينة نجا الجميع، وإن هلكت هلك الجميع، **كما في حديث النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ** رضي الله عنهما، أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: ((مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا)). [١]

العرض الرابع: الخوف من إظهار الهوية الإسلامية

وهذا عرض فَتّاك من أعراض الهزيمة النفسية، يخشى المسلم الآن في زماننا أن يُظهر السُنة! ! وأن يظهر هويته وبعزةٍ واستعلاء ويخشى أن يُتهم بالإرهاب، بالتخلف، بالجمود بالرجعية، وعدم القدرة على الانفتاح العصري! إلى آخر هذه التهم، والله تعالى يقول: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩]

فلا تهنوا ولا تحزَنوا فإن الإيمانَ يوجب قوةَ القلب والثقةَ بصنع الله تعالى وعدمَ المبالاة بأعدائه. [٢] وقال تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨]

فإن كنت مؤمنا صادقا فأظهر هويتك وأعتز بدينك وعقيدتك وأظهر شعائر دينك

أسباب الهزيمة النفسية

للهزيمة النفسية أسباب كثيرة وعديدة من أهمها:

---

(١) رواه البخاري (٢٤٩٣)

(٢) تفسير أبي السعود (٢/ ٨٩)

السبب الأول: ضعف الإيمان

قال السَّرِيّ السَّقطي: ضَعفُ الْإيمان أَصْلُ كلِّ إثم وهَمٍّ وغَمٍّ. (١)

فالأسباب الحقيقية لكل انحطاط داخلية لا خارجية، وليس علينا أن نلوم العواصف حين تحطم شجرة نخرة في أصولها، إنما اللوم على الشجرة النخرة نفسها، لذلك فإن أخطر سبب من أسباب الهزيمة النفسية هو ضعف الإيمان.

قال ابن القيم: إذا أُصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله، أو بإدالة عدوه عليه، فإنما هي بذنوبه، إما بترك واجب، أو فعل محرم وهو من نقص إيمانه. (٢)

السبب الثاني: الجهل بطبيعة الطريق الموصِّل إلى الله

إن الطريق إلى الله ليس هيناً. . . الطريق إلى الله ليس مفروشاً بالورود والزهور، بل إن الطريق مفروش بالمكاره، محفوف بالعنت وبالأذى والابتلاء فيأتي كثير من الناس يردد كلمة الإيمان يحسبها سهلة هينة، يرددها في وقت الرخاء وهو يظن أن الكلمة هينة فإذا ما تعرض على الطريق لأول محكٍ عملي من الفتن والأذى انقلب على عقبيه وتخلى عن طريق الله، قال سبحانه: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } [الحج: ١١]

فلابد من معرفة طبيعة الطريق حتى لا تنزلق مع أول منعطف من المنعطفات على طريق المحن والفتن و الابتلاءات، **قال تعالى**: { الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي (ص: ٣٥٢)

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٨٢)

يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } [العنكبوت: ١ - ٣]

السبب الثالث: ثلاثية. . العجز والكسل والوهن

المفاسد كلها ثمرة العجز والكسل والوهن، وهذه الأمور الثلاثة مفتاح كل شر وأصل المعاصي كلها. (١)

قال الإمام الراغب الأصفهاني: من تعطّل وتبطّل انسلخ من الإنسانية، بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى. (٢)

وها هو رسول الله ﷺ يبين لنا الداء ويوضحه، كما في حديث ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا)). ، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: ((بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ))، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: ((حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)). (٣)

السبب الرابع: قلة العلم بسيرة النبي ﷺ

وكيف لم تهزمه أعاصير الكفر، ولم تزده في نفسه إلا ثباتًا ويقينًا، إلى أن استعذبت ألسنة العرب والعجم شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فلم تكن الأحزاب لتقهره، ولم تكن المغريات لتثنيه، بل سار على طريق ربه عز وجل إلى أن أقر الله عينه بأمته في الدنيا، وسيقر الله عينه بها في الآخرة، لتكون أكثر الأمم دخولاً الجنة، يقول

---

(١) راجع زاد المعاد (٢/ ٣٢٦) و (٢/ ٣٢٩)

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة لأبي الراغب الأصفهانى (ص: ٢٦٩)

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٧٨) وأبو داود (٤٢٩٢) وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٤٧)

النبي ﷺ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ.)). (١)

بعض آثار الهزيمة النفسية

عندما تتمكن الهزيمة النفسية من فرد أو جماعة أو أمة تتسبب في أمراض خطيرة منها:

- الإحباط الدائم واللامبالاة

المنهزمون نفسيا: تجدُهم دائمًا يتحدَّثون عن الواقع السيِّئ، وعن العجْز الذي نعيشُه، وأنَّ غيرَنا حقَّق ما يُريد، فلو أنَّنا كنَّا نقدر على فعل شيءٍ لفعلْناه، وإذا كانت هُناك بعض النِّقاط الإيجابيَّة أو بعض الإنْجازات والنَّجاحات التي تَحقَّقت، فيعمِدون إلى إخفائِها وتشويهها والادِّعاء بأنَّها محض صدفة.

- انحطاط الهمم وانحدار الاهتمامات والرضا بالواقع

الرِّضَا بالواقع وإن كان مؤلمًا مرًّا، وبالتالي عدم حدوث أي تغيير، بل يعمدون إلى محاربة أي مُحاولة للتقدُّم والتغيير؛ بِحجَّة أنَّ هذا سيجلب لَهُم الكثيرَ من المتاعِب، والادِّعاء بأنَّ الحال هكذا أفضل.

وعندما تملَّكت هذه الروح الانهزاميَّة من المسلمين في مراحل معيَّنة، جلبت الكثير من المتاعب، فمثلاً عندما قام التَّتار باجتِياح العالم الإسلامي، ودخول بغداد، وقتْل الخليفة العباسي، كان الجندي من التتار يسير في الشَّارع بلا سلاح، فيقابِل الرَّجُل المسلم، فيقول له: ابقَ مكانَك ولا تتحرَّك حتَّى آتيَ بسيف فأقتُلك، فيبقى المسلم كما هو حتَّى يقتله التتري.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٥٢) ومسلم (٢٢٠)

- التنازل عن الحقوق

الروح الانهزاميَّة تدفع الناس بسبب اليأس الذي تملَّكهم إلى التنازُل عن حقوقِهم؛ بِحجَّة أنَّه لا يمكن استرْجاعها، فهم ليسوا قادرين على ذلك، وبالتالي فعليهم الرِّضا بما يُرْمى لهم، فهو أفضل من اللاشيء.

- الانغماس في الشهوات وما يُشبع الغرائز.

- الإكثار من النقد للآخرين

- عدم محبة الناجحين، والعمل دوما على تشويه صورتهم والبحث عن نقائصهم.

- سيطرة أحلام اليقظة على العقل، والأماني الكاذبة بالاشتهار بين الناس، وفعل الخوارق والمعجزات.

-علاج الهزيمة النفسية

وهذه بعض الأسباب والوسائل التي تقي المسلم من الوقوع في هُوة اليأس والإحباط

١ - تقوية الصلة بالله والاعتصام به سبحانه

وهذا أعظم أسباب القوة النفسية والقلبية والبدنية، فلا حول ولا طَول ولا هداية لنا إلا بالله العلي العظيم قال تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ} [التغابن: ١١]

وقال تعالى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [آل عمران: ١٠١]

فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور، مكفى، مدفوع عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه من بأقطارها، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، ظاهرا وباطنا. (١)

٢ - معرفة سنن الله في كونه

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٨٢)

فلله في كونه سنن لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي أحدا، ومعرفتها واليقين بها سبب لثبات القلوب وانشراح الصدر والرضا عن الله والشرع، منها على سبيل المثال:

- من ظن أن الله لا يتم أمره، ولا يؤيد حزبه، ويعليهم ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته. (١)

- ومنها: أن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، والدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. (٢)

- ومنها: أن الله تعالى قد يُديل الكافرين على المؤمنين تارة كما يديل المؤمنين على الكافرين ثم تكون العاقبة للمؤمنين.

- وإذا كان في المسلمين ضعف وكان عدوهم ظاهرا عليهم فذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم؛ إما لتفريطهم في أداء الواجبات باطنا وظاهرا وإما لعدوانهم بتعدي الحدود باطنا وظاهرا. (٣)

٣- القيام بواجب الدعوة إلى الله حسب الاستطاعة

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ)). قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: ((لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)). (٤)

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٠٥)

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (ص: ٢٩)

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٤٥)

(٤) رواه مسلم (٥١)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)). (١)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**)). (٢)

٤ - نشر روح الأمل والثقة بالله، والقضاء على روح اليأس والإحباط بين أفراد الأمة

هذا هو منهج خير الأنام ﷺ فكان ﷺ يقول: ((يُعْجِبُنِي الفَأْلُ)) قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: ((كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ)). (٣)

وكَانَ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ: ((بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا)). (٤)

٥ - التخلص من الوهن والعجز والكسل

عَن أنسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه: كُنْتُ أَسْمَعُ النبي ﷺ كَثِيرًا يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ من العَجْزِ وَالكَسَلِ)). (٥)

وعلمنا النبي ﷺ أن نقول في أذكار الصباح والمساء ((اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ)). (٦)

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦١)

(٢) رواه مسلم (٤٩)

(٣) رواه البخاري (٥٧٧٦) ومسلم (٢٢٢٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٦٩) ومسلم (١٧٣٢) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري (٢٨٩٣) ومسلم (٢٧٠٦)

(٦) رواه مسلم (٢٧٢٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

obeikandl.com

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)). (١)

قال النووي: والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك. (٢)

٦- الاعتزاز بهذا الدين والثقة بنصرة رب العالمين لأوليائه المتقين

قال الله تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [النور: **٥٥**]

٧- علو الهمة والبعد عن سفاسف الأمور

فلأن تضيء شمعة خير لك من أن تلعن الظلام ألف مرة. . . . فأعظم ما يدفع عن العبد الانكسار والذل والهوان بعد الإيمان بالله، أن يكون ذا همة عالية ونفس أبية تتطلع إلى المعالي وتترفع عن الدناءات، وهذا ما يوجب للعبد محبة الله، **عَن الحُسين بن**

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١٥)

عليّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا)). (١)

فعلو الهمة يستلزم الجد، والإباء، وطلب المعالي، ونشد الكمال، والترفع عند الدنايا، والصغائر، ومحقرات الأمور.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد. (٢)

قال ابن القيم: فمَن عَلَتْ هِمّتُه، وخشعتْ نفسُه اتصف بكل خُلُقٍ جميل، ومَن دنتْ همتُه، وطغتْ نفسُه اتصف بكلِّ خُلُقٍ رَذيل.

وقال: فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار. (٣)

٨- قراءة سيرة النبي ﷺ والتخلق بأخلاقه الرفيعة، وسجاياه العظيمة

وكذلك أخلاق صحبه الكرام الذين سادوا الدنيا بأخلاقهم، ومحاولة الاقتداء بهم؛ لما في ذلك من خير عظيم للإنسان؛ قال الله - تعالى -: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١].

٩- القراءة الصحيحة لتاريخ الأمة وسير السلف الصالح

---

(١) رواه الطبراني (١٠٧٦) والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٨٤)

(٢) سوء الخلق، لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص: ٩٨)

(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ١٤٤) و (ص: ١٧٧)

obeikandi.com

لا لمجرد الثقافة الذهنية الباردة، وإنما لأخذ العبر من ناحية، ولتتدفق في عروق الأجيال دماءُ الغيرة والعزة والكرامة من ناحية أخرى، وليعلم الجميع أن سلفنا الصالح أخضعوا أكبر الدول في زمانهم مثل دولة الفرس والروم، ونشروا العدل والأمن والاستقرار.

١٠ - مجاهدة النفس للتخلص من أدوائها

قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [العنكبوت: ٦٩]

قال ابن كثير رحمه الله: قوله: {والذين جاهدوا فينا} يعني: الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين {لنهدينهم سبلنا}، أي: لنبصرنهم سبلنا، أي: طرقنا في الدنيا والآخرة. (١)

وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: ((وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)). (٢)

قال ابن حزم رحمه الله: كَانَت فِيَّ عُيُوب فَلم أزل بالرياضة واطلاعي على مَا قَالَت الْأَنْبِيَاء صلوت الله عَلَيْهِم والأفاضل فِي الْأَخْلَاق وَفِي آدَاب النَّفس؛ أعاني مداواتها حَتَّى أعَان الله عز وَجل على أَكثر ذَلِك بتوفيقه وَمَنّه. (٣)

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٦)

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٢) والترمذي (١٦٢١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٣٣)

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص: ٣٣)

حاجة الأمة إلى الثقة بالله

حاجتنا إلى الثقة معنى الثقة وسائل تحصيلها نماذج تطبيقية ثمراتها

أهداف الخطبة

١- بيان الحاجة إلى مثل هذه المواضيع و خصوصا أيام الفتن والشدائد الصعاب

٢- ترسيخ مفهوم الثقة بالله وتعزيزه في نفوس أبناء الأمة حتى يحسنوا الظن بربهم وبدينهم

٣- التقليل من حدّة الهجمة الشرسة التي يُراد منها تغلغل اليأس في قلوب المسلمين وشلّ أفكارهم وتحطيم معنوياتهم.

٤- إظهار الفرق بين المؤمنين والمنافقين في أوقات الشدائد.

مقدمة

بعد أشد الأوقات ظلمة يطلع الفجر، وحين تشتد الكربات يقترب الفرج، وحين يتملك النفوس اليأس من شدة العسر وتأخر النصر ومعاندة المكذبين ومحاربتهم يَمنّ الله بالروح والتنفيس عن المؤمنين والتمكين لهم كما قال تعالى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [يوسف: ١١٠]

وكما قال عز وجل: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [الشرح: ٥، ٦]

وكما قال النبي ﷺ: ((وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)). [١]

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٠٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٥١)

إن صاحب الثقة بالله تعالى لا يهتز يقينه ولا يتزعزع إيمانه حتى وإن رأى تكالب الأمم واشتداد الخطوب؛ لأنه يعلم أن الأمر كله لله تعالى، وأن العاقبة للحق وأهله، وأن المستقبل لهذا الدين العظيم: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَنْ ظَنَّ بِالله أَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَلَا يُتِمُّ أَمْرَهُ، وَلَا يُؤَيِّدُهُ وَيُؤَيِّدُ حِزْبَهُ، وَيُعْلِيهِمْ وَيُظْفِرُهُمْ بِأَعْدَائِهِ، وَيُظْهِرُهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ دِينَهُ وَكِتَابَهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَنَسَبَهُ إِلَى خِلَافِ مَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِهِ، فَإِنَّ حَمْدَهُ وَعِزَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَإِلَهِيَّتَهُ تَأْبَى ذَلِكَ، وَتَأْبَى أَنْ يُذَلَّ حِزْبُهُ وَجُنْدُهُ، وَأَنْ تَكُونَ النُّصْرَةُ الْمُسْتَقِرَّةُ وَالظَّفَرُ الدَّائِمُ لِأَعْدَائِهِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ، فَمَنْ ظَنَّ بِهِ ذَلِكَ فَمَا عَرَفَهُ وَلَا عَرَفَ أَسَمَاءَهُ وَصِفَاته وَكَمَالَهُ. (١)

حاجتنا إلى الثقة بالله

إن المسلمين في زمن الضعف يجب عليهم أن يستحضروا دائماً الثقة بالله، والتوكل عليه، واستمداد القوة منه، والركون إليه، وأنه عز وجل ينصر من نصره، فإذا التجأ العبد إليه فقد أوى إلى ركن شديد.

ولنعلم أنَّ وقت الفتن والشدائد، تظهر حقائقُ ما في القلوب من قوة الإيمان أو ضعفه، ويظهر حسنُ الظن بالله عند أُناس، ويظهر سوءُ الظن به عند آخرين،

عن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ قال: لقيني راهبٌ فقال: يا سعيد، في الفتنة يتبين من يعبدُ اللهَ ممن يعبد الطاغوت. (٢)

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٠٥)

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٢٨٠)

في حال السعة والرخاء، قد يظن الإنسان بنفسه خيرا، ولكن إذا حلّ القضاء، أو نزل البلاء رأى من نفسه عجبا.

فماهي الثقة بالله؟

الثقة بالله هي: أن تعلق قلبك بالله وحده في تحصيل ما ينفعك ودفع ما يضرك، وأن تقطع تعلقَك بالمخلوقين، فهم لا يملكون لك ولا لأنفسهم نفعاً ولا ضرا.

الثقة بالله هي: اليقين الثابت بكمال بصفات الله تعالى، وبصدق وعده، وعظيم قدرته، وإحاطة علمه بكل شيء.

الثقة بالله هي: التسليم والانقياد المطلق بالجوارح كلها لله جل وعلا.

الثقة بالله هي: أن تكون أوثقَ بما عند الله منك مما في يدك أو في يد غيرك.

قال شقيق البلخي رحمه الله: الثِّقَةِ بِاللهِ أَنْ لَا تَسْعَى فِي طَمَعٍ وَلَا تَتَكَلَّمَ فِي طَمَعٍ وَلَا تَرْجُو دُونَ اللهِ سِوَاهُ وَلَا تَخَافُ دُونَ اللهِ سِوَاهُ وَلَا تَخْشَى مِنْ شَيْءٍ سِوَاهُ. (١)

أهمية الثقة بالله ومكانتها

- الثقة بالله من العبادات القلبية والأصول الإيمانية

فالثقة بالله من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبها تفاضل العارفون، وفيها تنافس المتنافسون، وإليها شمر العاملون، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤].

وقد كان ابن القيم رحمه الله تعالى يقول: سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رحمه الله يَقُولُ: بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ. ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٨/ ٦١)

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤]. (١)

وهي العبادة التي جمعت بين التفويض والتسليم لله رب العالمين، وقد خلق الله الخلق جميعا لغاية واحدة؛ وهي عبادته وحده لا شريك له: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ الْإِنسَ لَّا يَعْبُدُونِ}[الذاريات(٥٦)]

قال الهروي الثِّقَةُ: هي سَوَادُ عَيْنِ التَّوَكُّلِ. وَنُقْطَةُ دَائِرَةِ التَّفْوِيضِ. وَسُوَيْدَاءُ قَلْبِ التَّسْلِيمِ. (٢)

فالثقة بالله هي عمود التوكّل، وهي ساقُ التفويض التي يقوم عليها، فلا توكّلَ بدون ثقة، وعلى قدر الثقة تكون قوة التوكل.

- الثقة بالله صفة من صفات الأنبياء

فأوثق الخلق بالله هم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وسيأتي بعض الأمثلة لذلك

- والثقة أيضا صفة من صفات الأولياء الصادقين

قال يَحْيَى بْن مُعَاذٍ الرازي رحمه الله: ثَلاَثُ خِصَالٍ مِنْ صِفَةِ الْأَوْلِيَاءِ: الثِّقَةُ بِاللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالْغِنَى بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. (٣)

وسائل تحقيق ثقة العبد بربه

١ - معرفة الله عز و جل بربوبيته وعظمته

قال شَقِيق بْن إِبْرَاهِيمَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يعْرَفَ مَعْرِفَتَهُ بِاللهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَا وَعْدَهُ اللهُ وَوَعَدَهُ النَّاسُ بِأَيِّهِمَا قَلْبُهُ أَوْثَقُ؟. (٤)

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم(٢/ ١٥٣)

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٤٢)

(٣) شعب الإيمان للبيهقي(٢/ ٣٥٤)

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٨/ ٦٤)

obeikandi.com

فإذا علم العبد أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، وأن الأمر كله بيده: {قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} [آل عمران: ١٥٤]: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢]

وهو سبحانه يورث الأرض من يشاء من عباده، كما قال: {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف: ١٢٨]

وأنه شديد المحال، عزيز لا يُغلب، كما قال تعالى: {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد: ١٣]

وأنه سبحانه وتعالى له جنود السموات والأرض قال عز وجل: { وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [الفتح: ٤] وقهر العباد فأذلهم فهم لا يخرجون عن أمره ومشيئته: {هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزمر: ٤] وهو سبحانه وتعالى الذي يضُر وينفع: { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ} [الأنعام: ١٧] فعندئذٍ تزيد ثقته بربه ويطمئن قلبه بوعده ويرضى بقضائه وقدره ويستقيم على شرعه

٢ - العلم بأسماء الله وصفاته

قال ابن القيم: أكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسلَم من ذلك إلا من عرَف اللهَ وعرَف أسماءَه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته. (١)

فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام، ومن عرف ربه بالعز التام عرف نفسه بالمسكنة التامة، ومن عرف ربه بالعلم التامّ والحكمة عرف نفسه بالجهل التام. (٢)

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٣/ ٢٠٦)

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (ص: ٩)

والله سبحانه عند ظن عبده به، **عن واثلة بن الأسقع** رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ)). (١)

فَلاَ تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ. . . فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ

٣- الاستقامة على طاعة الله

كلما استقام العبد على طاعة الله كلما زاد يقينه بالله وعظُمت ثقته بوعده سبحانه، قال ابن القيم رحمه الله: أَحْسَنُ النَّاسِ ظَنًّا بِرَبِّهِ أَطْوَعُهُمْ لَهُ. **كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ**: إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلَ وَإِنَّ الْفَاجِرَ أَسَاءَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَسَاءَ الْعَمَلَ. (٢)

وقال عن أهل الأماني الكاذبة: إِنَّ قَوْمًا أَلْهَتْهُمْ أَمَانِيُّ الْمَغْفِرَةِ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَوْبَةٍ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ: لِأَنِّي أُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّي، وَكَذَبَ، لَوْ أَحْسَنَ الظَّنَّ لَأَحْسَنَ الْعَمَلَ. (٣)

٤- الاعتزاز بالدين وترك المهانة والتذلل للكافرين

فإذا كنت مؤمنا بالله، واثقا بوعده؛ فلا تهن ولا تحزن، قال تعالى مشجعًا لعباده المؤمنين، ومقويا لعزائمهم ومنهضًا لهممهم: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: **١٣٩**]

قال الألوسي: فلا تهنوا ولا تحزنوا -أيها المؤمنون- فإن الإيمان يوجب قوة القلب ومزيد الثقة بالله تعالى وعدم المبالاة بأعدائه. (٤)

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٩١) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٢٢٥) وأصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الداء والدواء لابن القيم (ص: ٢٥)

(٣) الداء والدواء لابن القيم (ص: ٢٨)

(٤) تفسير الألوسي (٢/ ٢٨٢)

قال السعدي: (ولا تهنوا ولا تحزنوا) أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجّعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلّبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال تعالى: { وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }. (١)

مظاهر ومجالات الثقة من الناحية التطبيقية

١ - الثقة في كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

فالمؤمن يثق في كلام الله، لأن كلام الله كله صدق سواء في الأخبار أو في الأحكام (الأوامر والنواهي) كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا} [الْأَنْعَامُ: ١١٥]

أي: صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام.

ومن الأمثلة التطبيقية، قال تعالى لِأُمّ مُوسَى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٧]

فامتثلت أمرَ ربها وكلُّها ثقةً بالله تعالى، **قال ابن القيم** رحمه الله: فَإِنَّ فِعْلَهَا هَذَا هُوَ عَيْنُ ثِقَتِهَا بِاللَّهِ تَعَالَى، إِذْ لَوْلَا كَمَالُ ثِقَتِهَا بِرَبِّهَا لَمَا أَلْقَتْ بِوَلَدِهَا وَفِلْذَةِ كَبِدِهَا فِي تَيَّارِ الْمَاءِ، تَتَلاَعَبُ بِهِ أَمْوَاجُهُ إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي أَوْ يَقِفُ. (٢)

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٥٠)

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٤٢)

- **وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ**، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ((اسْقِهِ عَسَلاً)) فَسَقَاهُ، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي سَقَيْتُهُ عَسَلاً فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلاَقًا، فَقَالَ لَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: ((اسْقِهِ عَسَلاً)) فَقَالَ: لَقَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلاَقًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ)). فَسَقَاهُ فَبَرَأَ. (١)

- **وعَنْ نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الأَسْلَمِيِّ**، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ} [الروم: ٢] خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَصِيحُ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ}. قَالَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِأَبِي بَكْرٍ: فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، زَعَمَ صَاحِبُكَ أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ، أَفَلاَ نُرَاهِنُكَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: بَلَى، وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ، فَارْتَهَنَ أَبُو بَكْرٍ وَالْمُشْرِكُونَ وَتَوَاضَعُوا الرِّهَانَ، وَقَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ: كَمْ تَجْعَلُ الْبِضْعُ ثَلاَثُ سِنِينَ إِلَى تِسْعِ سِنِينَ، فَسَمِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ، قَالَ: فَسَمَّوْا بَيْنَهُمْ سِتَّ سِنِينَ، قَالَ: فَمَضَتِ السِّتُّ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرُوا، فَأَخَذَ الْمُشْرِكُونَ رَهْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا دَخَلَتِ السَّنَةُ السَّابِعَةُ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَعَابَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْمِيَةَ سِتِّ سِنِينَ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي بِضْعِ سِنِينَ، قَالَ: وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ. (٢)

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨٤) ومسلم (٢٢١٧) وهذا لفظ مسلم، (استطلق) الاستطلاق الإسهال، (صدق الله وكذب بطن أخيك) المراد قوله تعالى { يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} [النحل: ٦٩] وهو العسل وهذا تصريح منه ﷺ بأن الضمير في قوله تعالى فيه شفاء يعود إلى الشراب الذي هو العسل وهو الصحيح. شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٠٣)

(٢) رواه الترمذي (٣١٩٤) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٧/ ٣٦٦)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: أَوَقَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِي مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ. (١)

- **وعن خزيمة بن ثابت** رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ، فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَشْيَ، وَأَبْطَأَ الأَعْرَابِيُّ، فَطَفِقَ رِجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الأَعْرَابِيَّ فَيُسَاوِمُونَ بِالْفَرَسِ، لاَ يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَهُ، حَتَّى زَادَ بَعْضُهُمُ الأَعْرَابِيَّ فِي السَّوْمِ عَلَى ثَمَنِ الْفَرَسِ الَّذِي ابْتَاعَهُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَادَى الأَعْرَابِيُّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعًا هَذَا الْفَرَسَ فَابْتَعْهُ، وَإِلاَّ بِعْتُهُ. فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ نِدَاءَ الأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ: ((أَوَلَيْسَ قَدْ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟)) قَالَ الأَعْرَابِيُّ: لاَ وَاللَّهِ مَا بِعْتُكَ. فَقَالَ ﷺ: ((بَلَى قَدْ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ)). فَطَفِقَ النَّاسُ يَلُوذُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَالأَعْرَابِيِّ وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ، فَطَفِقَ الأَعْرَابِيُّ يَقُولُ: هَلُمَّ شَهِيدًا يَشْهَدُ أَنِّي بَايَعْتُكَ، فَمَنْ جَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ لِلأَعْرَابِيِّ: وَيْلَكَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ لِيَقُولَ إِلاَّ حَقًّا. حَتَّى جَاءَ خُزَيْمَةُ لِمُرَاجَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُرَاجَعَةِ الأَعْرَابِيِّ، فَطَفِقَ الأَعْرَابِيُّ يَقُولُ: هَلُمَّ شَهِيدًا يَشْهَدُ أَنِّي بَايَعْتُكَ. قَالَ خُزَيْمَةُ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ. فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ: ((بِمَ تَشْهَدُ؟)). فَقَالَ: بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ. (٢)

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨١) وصححه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة(١/ ٦١٦)

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢١٥) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٥/ ١٢٧)

٢ - الثقة بنصر الله وتأييده

على المؤمن الذي تحقق بدين الله والتزم بشرعه وأخذ بالأسباب المعنوية والمادية التي لا تخرج عن شرع الله أن يوقن بنصر الله تعالى ويطمئن قلبه بتأييده له، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧] والآيات في هذا المعنى كثيرة ومعلومة للجميع، وإليك بعض الأمثلة للواثقين بنصر الله وتأييده

- **عندما خرج موسى عليه السلام** بمن معه من المؤمنين فأتبعهم فرعون بجنوده، فأصبح البحر أمامه وفرعون خلفه، فقال له بنو إسرائيل: {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} [الشعراء: ٦١] ولكنه قال بثقة ويقين: {كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: ٦٢].

- **ولما خرج نبينا** ﷺ من مكة مهاجرا ولحقه الكفار دخل الغار؛ فحفظ الله نبيه من كيد الكفار، وحرسه بعينه التي لا تنام؛ **فعن أنس بن مالك** رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثه، قال: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: ((يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا)). (١)

ونزل في ذلك قول الله تبارك وتعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٤٠]

- **وعن عُمَر بْن الْخَطَّابِ** رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ

(١) رواه البخاري(٣٦٥٣) ومسلم(٢٣٨١)

الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: ((اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلاَمِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ))، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلاَئِكَةِ. (١)

سؤال: تسمع من يقول: ماذا نفعل ونحن مجردون من الأسباب المادية؟!

إنه تبرير الأذلاء وحجة الضعفاء، وكأن الأسباب المادية هي التي تأتي بالنصر. فماذا كان يملك نوح عليه السلام من الأسباب المادية عندما وقف أمام قومه وقال لهم: {إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} [يونس: ٧١]. ونفس الموقف يتكرر مع هود عليه السلام يقف وحده أمام قومه ويتحداهم قائلاً: {فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ} [هود: ٥٥] فإني لا أخشاكم ولا أبالي بكم، فمعي قوة لا تقهر ومعي نصير لا يغلب: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} [هود: ٥٦] ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، وأنتم أيها الغلاظ الشداد ما أنتم إلا دواب من تلك الدواب التي يأخذ ربي بناصيتها، فما خوفي إذًا منكم؟ إنها حقيقة الألوهية عندما تتجلي في قلوب الصفوة المؤمنين، عندها يهتف القلب على الفور: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف: ٦٧]. (٢)

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣)

(٢) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (٢/ ٢٦٦)

- الثقة بمعية الله وحفظه لعبده المؤمن

- **فهذا خليل الرحمن إبراهيم** -عليه السلام- حينما ألقي في النار كان على ثقة عظيمة بالله؛ حيث قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل " **فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ. (١) فكفاه الله شر ما أرادوا به من كيد، وحفظه من أن تصيبه النار بسوء، قال تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء(٦٩)].

- **وهذه هاجر عليها السلام** امرأة مؤمنة، ترَكها زوجها إبراهيم عليه السلام مع ابنها الرضيع بأرض قفار لا أثر فيها للحياة، وقفل راجعًا وهي تتبعه متعجبة من هذا الصنيع؛ فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذن لا يضيعنا. (٢)

إنها الثقة بالله التي تقوِّي الذات ولا تدمّرها؛ لأنها تنقلها من التواكل إلى التوكل، وتُشعِرها أنها تستمد قدرتها من قدرة الله.

- **وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** رضي الله عنهما، قَالَ: قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المشركين، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: ((اللَّهُ))، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ((مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟)) قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ، قَالَ: ((أَتَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ))، قَالَ:

---

(١) رواه البخاري (٤٥٦٤)

(٢) رواه البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

لاَ، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لاَ أُقَاتِلَكَ، وَلاَ أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ. (١)

- الثقة بما عند الله من ثواب وعقاب

فالمسلم يعتقد أن أي خطوة يخطوها في سبيل الله أي تسبيحه أو تحميدة أو صدقة أو حركة يتحركها لعز الإسلام فسيكتب الله له الأجر على ذلك: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [التوبة: ١٢٠، ١٢١]

وهذا أمر مهم جدا في استقامة العبد على طاعة الله واجتنابه لمعاصيه، بل هذا هو الفارق بين المؤمن والمنافق، والموقن والشاك، قال تعالى لنبيه في موضعين: { قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأنعام: ١٥] و [الزمر: ١٣] **وقال واصفا ثلة من الأنبياء** عليهم السلام: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [الأنبياء: ٩٠]

وقال تعالى واصفا أهل الإيمان الذين جمعوا بين الإيمان بالوعد والوعيد: { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} [الإنسان: ٨ - ١١]

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٦٥) وهو حديث صحيح وأصله في الصحيحين.

وانظر إلى سير الصحابة في بذلهم أموالهم وأرواحهم رخيصة في سبيل نصرة هذا الدين، وما ذلك إلا لإيمان وقر في قلوبهم بوعد الله تعالى، وتصديق لما عنده من نعيم، وإليك هذا المثال

- **لما بعث عمر** رضي الله عنه، المسلمين لقتال الفرس، والتقى الفريقان أراد قائدهم أن يعرف مَن هؤلاء القوم الذين اجترأوا على قتالهم، فبعث تُرْجُمَانه فَقَالَ: لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ. فَقَالَ **الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ**: سَلْ عَمَّا شِئْتَ. قَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ نَمَصُّ الْجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ وَنَلْبَسُ الْوَبَرَ وَالشَّعْرَ وَنَعْبُدُ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَأَمَرَنَا رَبُّنَا أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ فَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهُ قَطُّ وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ. (١)

ثمرات الثقة بالله

إن الثقة بالله تعالى نعمة عظيمة، ومنحة كبيرة، فمن ثمرات الثقة بالله تعالى أنها:

- تفتح باب الرحمة والأمل، وتدفع أسباب اليأس والكسل

تأمل حال الصحابة وهم يحفرون الخندق وقد تكالب عليهم الأعداء من كل حدب وصوب ولكن قلوبهم مليئة بالأمل والثقة بالله وجوارحهم لا تكل من العمل الشاق وألسنتهم تلهج:

وَاللَّهِ لَوْلاَ اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تصدقنا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٥٤٥)

إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وإِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

قال تعالى { وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا } [الأحزاب: **٢٢**]

- تُقيم العبدَ في مقام الإحسان

لأن الواثق يوقن بأنه مراقَبٌ من الله في خلوته وفي جلوته في ظاهره وباطنه، **قال حاتم الأصم** رحمه الله: عَلِمْتُ أَنِّي لَا أَخْلُو مِنْ عَيْنِ اللهِ حَيْثُ كُنْتُ فَأَنَا مُسْتَحْيٍ مِنْهُ. (١)

- الثقة تجعل العبد راضيا بالله وعن الله

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)). (٢)

قال حَاتِم الْأَصَمّ رحمه الله: مَنْ أَصْبَحَ وَهُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فَهُوَ يَتَقَلَّبُ فِي رِضَا اللهِ: أَوْلَهَا الثِّقَةُ بِاللهِ ثُمَّ التَّوَكُّلُ ثُمَّ الْإِخْلَاصُ ثُمَّ الْمَعْرِفَةُ. (٣)

- توجب للمسلم التفويض لما قضى به رب العباد في الأزل

عَنْ صُهَيْبٍ الرومي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)). (٤)

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله: أَصْبَحْتُ وَمَا لِي سُرُورٌ إِلَّا فِي مَوَاقِعِ الْقَدَرِ. (١)

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ٧٣)

(٢) رواه مسلم (٣٤)

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٨/ ٧٥)

(٤) رواه مسلم (٢٩٩٩)

- توجب التوكل على الله والاستعانة به وحده دون من سواه

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ)). (٢)

- من وثق بالله نجاه من كل كرب أهمه

قال تعالى: { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]

قال أبو العالية الرياحي رحمه الله: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِهِ هَدَاهُ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن: ١١] وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣] وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَازَاهُ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} [البقرة: ٢٤٥]. (٣)

- ضمان الرزق لمن وثق برب الخلق

إذا كان العبد موقنا بأن الله رازقه، وبذل الأسباب الجالبة لذلك؛ رزقه الله، وأعطاه طلبه؛ **عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رضي الله عنه، إِنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)). (٤)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: ((إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ)). (١)

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم(٢/ ٢١٢)

(٢) رواه أبو داود (٢٦٣٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٧/ ٣٨٣)

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٢٢١)

(٤) رواه أحمد (١/ ٣٠) والترمذي (٢٣٤٤) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٢٠)

obeikandl.com

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرُبُ مِنَ الْمَوْتِ لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ)). (٢)

فإذا وثق العبد بالله، وأيقن أنه رازقه وكافيه زهد في هذه الدنيا، وعاش فيها راضيا مطمئنا، قِيلَ **لِأَبِي حَازِمٍ سلمة بن دينار** رحمه الله: يَا أَبَا حَازِمٍ مَا مَالُكَ؟ قَالَ: ثِقَتِي بِاللهِ تَعَالَى، وَإِيَاسِي مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ. (٣)

- بل من تحلى بهذه الصفة فقد فاز بالجنة والنعيم المقيم

فلن يحرص على الجنة والعمل لها والبذل من أجلها إلا الواثقون بما أعده الله فيها من نعيم لأهلها، وإليك هذا المثال، **جعفر بن أبي طالب** يعقر فرسه ويندفع مقاتلاً يوم مؤتة وهو يرتجز:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا . . طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا

وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا . . كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا

عَلَيَّ إِنْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا (٤)

قَالَ شَقِيقٌ الْبَلْخِيُّ رحمه الله: مَنْ عَمِلَ بِثَلَاثِ خِصَالٍ أَعْطَاهُ اللهُ الْجَنَّةَ: أَوَّلُهَا مَعْرِفَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَسَمْعِهِ وَجَمِيعِ جَوَارِحِهِ. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقُ مِمَّا فِي يَدَيْهِ. وَالثَّالِثُ: يَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ. (١)

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢٦٤) والبزار في مسنده (٤٠٩٩) وابن حبان (٣٢٣٨) وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣١٢)

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٩٠) والطبراني في الأوسط (١٤٧٩) بنحوه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وحسنه الألباني بشواهده في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٣٥)

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٣٢)

(٤) البداية والنهاية ط هجر (٦/ ٤٢٠)

ضرورة التذكير بالمبشرات وقت الشدائد والأزمات

من أعظم الحسنات وأجلّ القربات التي يتقرب بها المسلم لرب الأرض والسماوات في أوقات الشدائد والأزمات، أن يُذكِّر أبناء أمته بالمبشرات الصادقات، لندفع بها اليأس والإحباط، ونجدد العزائم ونرفع المعنويات، ونتلمس أسباب النصر المبين، ونثق بموعود رب العالمين على لسان سيد المرسلين، ولا نجعل للخوف والهلع طريقاً إلى قلوب المؤمنين، ومن رحمة الله بهذه الأمة أن جعل لهم بعد العسر يسراً وبعد الضيق والشدة، سعةً وفرجا، **قال تعالى**: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح: ٥، ٦]

قال السعدي: هذه بشارة عظيمة، أنه كلما وُجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسرُ جحر ضب لدخل عليه اليسر فأخرجه، **كما قال تعالى**: {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}.[٢]

وتمثل الشعراء بهذه المعاني القرآنية، وسلوا أنفسهم بالفرج على إثر الشدائد، قال ابن دريد: أنشدني أبو حاتمٍ السجستاني:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ . . . وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنَتِ الْمَكَارِهُ وَاطْمَأَنَّتْ . . . وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِها الْخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا . . . وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ . . . يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٦١)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٢٩)

وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ. . . فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ[١]

والمبشرات لهذه الأمة كثيرة سنعرض لبعضها، ولكن لابد من وقفة متأنية مع أعظم مربٍّ عرفته البشرية - رسول الله ﷺ - كيف كان يتعامل مع الأزمات؟ وكيف كان يوجه أصحابه حال الضيق والشدائد؟

منهج النبي ﷺ في مواجهة الأزمات

فقد كان النبي ﷺ يبشر أصحابه بالرفعة والظهور على أعدائهم، وهم في أشد حالات الضعف، وأعداؤهم متسلطون عليهم، **عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ** رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً، فقُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: ((كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)).[٢]

- فأخبر ﷺ أن الصبر هو الوسيلة العظمى والزاد النافع في طريق الاستقامة على شرع الله والدعوة إليه، هذا الطريق الطويل الصعب الشاق الوعر، المليء بالعقبات.

- وذكّرهم ﷺ بمن سبقهم من المستضعفين ليكون لهم زادًا في طريقهم الطويل، ويسليهم حتى يعلموا أن هناك من صبر أكثر منهم.

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٩٩)

(٢) رواه البخاري (٣٦١٢)

- وبشرهم ووعدهم حتى لا ييأسوا من العاقبة وأخبرهم أن العاقبة للمتقين. [١]

وفي غزوة الأحزاب، وقد ادلهم الخطب واشتدت المحنة وتكالب الأعداء من كل حدب وصوب على المسلمين ليكسروا شوكتهم ويستأصلوا شأفتهم وهم في عقر دارهم، حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، يأتي التثبيت من صاحب القلب الثابت ﷺ، **عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ** رضي الله عنه، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ، لاَ تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ووَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: ((بِسْمِ اللهِ فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا. ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللهِ وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللهِ وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا)). [٢]

وبعد أن ساق النبي ﷺ هذه البشريات العظيمات الصادقات، انقسم الناس إلى قسمين:

- **قسم امتلأت قلوبهم بالشك والريب** فظهر أثر ذلك على ألسنتهم، فقال بعضهم لبعض: ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الخوف، ولا يستطيع

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (١/ ٣٥٦)

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٠٣) وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٣٩٧)

أحدكم أن يذهب لقضاء حاجته من الخوف.[١]، **قال الله تعالى في وصف حالهم وبيان زيغهم وإرجافهم وخورهم**: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا} [الأحزاب: ١٢ - ١٤] فقد وجد هؤلاء في الكرب المزلزل، والشدّة الآخذة بالخناق فرصةً للكشف عن خبيئة نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد، وفرصة للتخذيل وبثّ الشكّ والرّيبة في وعد الله ووعد رسوله، وهم مطمئنون أن يأخذهم أحد بما يقولون، فالواقع بظاهره يصدّقهم في التشكيك.. وهم مع هذا منطقيّون مع أنفسهم ومشاعرهم، فالهول قد أزاح عنهم ذلك الستار الرقيق من التجمّل، وروع نفوسهم ترويعاً لا يثبت له إيمانهم المهلهل! فجهروا بحقيقة ما يشعرون غير مبقين ولا متجمّلين!.[٢]

- **وقسم آخر امتلأت قلوبهم بالثقة واليقين** بوعد رسول الله ﷺ، واستبشروا بقرب النصر **قال الله تعالى واصفا حال المؤمنين** الذين امتلأت قلوبهم ثقة بالله وبوعده ووعد رسوله ﷺ: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٢٠)

(٢) الجامع الصحيح للسيرة النبوية للدكتور سعد المرصفي (٤/ ١٢٣٨)

قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا } [الأحزاب: ٢٢ - ٢٧]

فذكر الله سبحانه المؤمنين وصدقهم في عقيدتهم، وتصديقهم بما وعدهم الله ورسوله مهما عظم البلاء، وأن ذلك لا يزيدهم إلا ثباتا على الإيمان، وصبرا على البلاء، وتسليما للقضاء. (١)

وها هي المبشرات لأمة الإسلام

فالله عز وجل تكفل بحفظ دين وردّ كيد أعدائه في نحورهم، قال الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [التوبة: ٣٢، ٣٣]

قال القرطبي رحمه الله: وَمِنَ الظُّهُورِ الْغَلَبَةُ بِالْيَدِ فِي الْقِتَالِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالظُّهُورِ أَلَّا يَبْقَى دِينٌ آخَرُ مِنَ الْأَدْيَانِ، بَلِ الْمُرَادُ يَكُونُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ عَالِينَ غَالِبِينَ. وَمِنَ الْإِظْهَارِ أَلَّا يَبْقَى دِينٌ سِوَى الْإِسْلَامِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. **قَالَ مُجَاهِدٌ:** وَذَلِكَ إِذَا نَزَلَ عِيسَى لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ دِينٌ إِلَّا دِينُ الْإِسْلَامِ. (٢)

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ، وَالدِّينِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا،

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لمحمد أبو شهبة (٢/ ٢٩٢)

(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٨٦)

obeikandl.com

لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ)). (١) فقوله ﷺ: (بشر هذه الأمة بالسناء) أي ارتفاع المنزلة والقدر. **(والدين)** هو الإسلام، والمراد بشرهم بأنهم يثبتون عليه وأنه لا يزيده الله إلا قوة وأنه يظهره على الدين كله كما وقع ذلك. (٢)

وعن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ)). (٣)

وعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا)). (٤)

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ)). (٥)

وعن المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((لاَ يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ، وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الإِسْلاَمِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا)). (٦)

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٣٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٤٥)

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٤/ ٥٤٦)

(٣) رواه مسلم (١٠٣٧)

(٤) رواه مسلم (٢٨٨٩)

(٥) رواه أحمد (٤/ ١٠٣) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(١/ ٣٢)

(٦) رواه أحمد (٦/ ٤) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(١/ ٣٢)

قال الشيخ الألباني رحمه الله: ومما لا شك فيه أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم ومادياتهم وسلاحهم حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان، وهذا ما يبشرنا به حديث: **أَبِي قَبِيلٍ** رضي الله عنه، **قَالَ:** كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي، وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً: الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ اللهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ، قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلاً)) يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ.[1] وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني كما هو معروف، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ بالفتح، وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى ولابد، ولتعلمن نبأه بعد حين. ولا شك أيضا أن تحقيق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة.[2] **وقد جاء ذلك واضحا في حديث حُذَيْفَة بن اليمان** رضي الله عنهما: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ)).[3]

قال الألباني رحمه الله: ومن البعيد عندي حمل الحديث على عمر بن عبد العزيز، لأن

---

(١) أحمد(٢/ ١٧٦) والدارمي (١ / ١٢٦) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(١/ ٣٢)

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة(١/ ٣٢)

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٧٣) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٥)

خلافته كانت قريبة العهد بالخلافة الراشدة ولم تكن بعد مُلكين: ملك عاض وملك جبرية، والله أعلم. (١)

ولعل المقصود بذلك – والله أعلم – هو المهدي وهو رجل من أهل بيت النبي ﷺ، الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلا كما مُلأت ظلما وجورا،

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلاً مِنِّي – **أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي** – يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي، يَمْلأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا)). (٢)

وفي هذا التوقيت سينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ليحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلاَ يَقْبَلُهُ أَحَدٌ)). (٣)

وفي رواية لأبي داود: ((فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلاَمِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلاَمَ)). (٤)

وقد جاءت البشائر النبوية أيضًا بأن للمسلمين صولة وجولة وملاحم عظيمة مع الروم تكون فيها الغلبة للمسلمين والنصر لعباده المؤمنين، عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى فقال: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٥)

(٢) رواه أبو داود (٤٢٨٢) والترمذي (٢٢٣٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٣٨)

(٣) رواه البخاري (٢٢٢٢) ومسلم (١٥٥)

(٤) رواه أبو داود (٤٣٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٥٠)

جَاءَتِ السَّاعَةُ، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ - فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ)). [1]

وأخبر ﷺ أن جيش الإسلام سيفتح قلعة من قلاع الروم بالتكبير والتهليل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: ((سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟)) قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا

(١) رواه مسلم (٢٨٩٩)

مِنْ بَنِي إِسْماعيل، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلاَحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ)). (١)

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: فتح قُسْطَنْطِينِيَّة المبشر به في الحَدِيث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد يعلمه الله عَزَّ وَجَلَّ وهو الفتح الصحيح لها. . . وأَمَّا فتح الترك الَّذِيْ كان قبل عصرنا هذا، فإنه كان تمهيداً للفتح الأعظم ثُمَّ هي قد خرجت بَعْدَ ذلك من أيدي المُسْلِمينَ منذ أن أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية، وعاهدت الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة. . . وسيعود الفتح الاسلامي لها إن شاء الله كما بشر به الرسول ﷺ وهذا الفتح للقُسطَنطينيَّة يفتحه الله للمسلمين بدون قتال، وسلاحهم فيه التكبير والتهليل. (٢)

وبشرنا ﷺ بقطع رأس الأفعى (اليهود) على أيدي الموحدين وذلك قبيل قيام الساعة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)). (٣)

---

(١) رواه مسلم (٢٩٢٠)

(٢) حاشية عمدة التفسير عن ابن كثير: ٢/ ٢٥٦

(٣) رواه مسلم (٢٩٢٢)

فالله وعدنا بنصره إن كنّا مؤمنين ونصرنا دينه ورفعنا رايته، فالمسلم يوقن بأن الله ناصره وناصر دينه مهما طال الزمن، ومهما قويت شوكة الباطل، قال تعالى: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: ١٠٥]

وقال تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]

وقال تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}[غافر: ٥١]

فمهما تلاحقت الخطوب واشتدت وتفنن الأعداء في أساليب العداوة والبغضاء، فلا ننسى أن نصر الله قريب، وأن كيد الشيطان ضعيف، وأن الغلبة في النهاية للحق وأهله: { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ } [الرعد: ١٧].

يقول الله عز وجل: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [يوسف: ١١٠]

ولكن لابد من التمحيص والابتلاء ليظهر ولي الرحمن من ولي الشيطان، **قال تعالى** {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤]

وقال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } [آل عمران: ١٤٢]

فوائد تربوية من أشراط الساعة

معنى أشراط الساعة **أقسامها** **ضوابط التعامل مع نصوصها**
الحكمة من الإخبار بها **الدروس والفوائد المستفادة**

مقدمة: إن الله جلت حكمته، قد أخفى على كل أحد وقت قيام الساعة، وجعل ذلك من خصائص علمه، لم يُطْلع عليها أحداً، لا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً وقرر ذلك واضحا في كتابه حيث قال سبحانه: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [الأعراف: ١٨٧] ولكنه سبحانه وتعالى، قد أعلمنا بأماراتها وعلاماتها وأشراطها فما هي العلامات وما أقسامها وكيف نعرفه؟ وكيف نتعامل معها؟ وما فائدة ذكرها؟

معنى أشراط الساعة

قال ابن فارس: (شرط) الشين والراء والطاء أصل يدل على عَلَم وعلامة، وما قارب ذلك من علم. وأشراط الساعة: علاماتها. (١) ومنه قوله تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} [محمد: ١٨].

وأشراط الساعة هي: علاماتها، وأسبابها، وما ينكره الناس من صغار أمورها التي يعقبها قيام الساعة. (٢)

أقسام علامات الساعة

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٦٠)

(٢) راجع تهذيب اللغة (١١/ ٢١٢) غريب الحديث للخطابي (٢/ ٢٥٢) وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٧٩)

obeikandl.com

لقد تكلم العلماء رحمهم الله تعالى عن أشراط الساعة وقسموها إلى عدة أقسام

١ – فبعضهم قسم العلامات باعتبار قرب أو بُعد زمن وقوعها من الساعة، فقسمها إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول من العلامات: قسمٌ ظهر وانقضى وِفق ما أخبر به رسول الله ﷺ ومنها: بعثته عليه ﷺ وموته، وفتح بيت المقدس، وظهور نار الحجاز، وغيرها من الأشراط التي وقعت وانقضت.

القسم الثاني: أشراط ظهرت ولا تزال تتابع باستمرار وهي كثيرة منها: كثرة الزلازل، وتضييع الأمانة، وتوسيد الأمر إلى غير أهله، ورفع العلم، وكثرة الجهل، وغيرها من الأشراط الكثيرة.

القسم الثالث: العلامات العظام والأشراط الجسام التي لم تظهر بعد والتي يعقبها قيام الساعة، ومنها: خروج المسيح الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والدابة، وخروج الشمس من مغربها، ونحو ذلك.

وممن سار على هذا التقسيم الحافظ ابن حجر حيث قال: ما أخبر النبي ﷺ بأنه سيقع قبل أن تقوم الساعة على أقسام: أولها: ما وقع على وِفق ما قال.

الثاني: ما وقعت مباديه ولم يستحكم. والثالث: ما لم يقع منه شيء ولكنه سيقع. (١)

وبمثل ذلك قال السفاريني: اعلم أن أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم ظهر وانقضى وهي الأمارات البعيدة، وقسم ظهر ولم ينقضِ بل لا يزال في زيادة حتى إذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الأمارات القريبة (من قيام الساعة) الكبيرة التي تعقبها الساعة وأنها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها. (٢)

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٨٣)

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٦٦)

obeikandi.com

٢ - والبعض الآخر قسمها باعتبار العلامات نفسها، فقسمها إلى قسمين:

القسم الأول - أشراط صغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة كقبض العلم وظهور الجهل والتطاول في البنيان وغيرها من الأشراط الصغرى.

القسم الثاني - أشراط كبرى: وهي العلامات الكبيرة التي تظهر قرب قيام الساعة مثل: خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وغير ذلك من العلامات الكبرى. وعلى هذا التقسيم درج كثير من الذين تكلموا عن أشراط الساعة. (١)

ضوابط التعامل مع نصوص الفتن وأشراط الساعة

هذه عدة ضوابط مهمة للتعامل مع نصوص الفتن وأشراط الساعة

الضَّابِطُ الأول: لاَ يُسْتَنْكَرُ تَوَقعُ حُصُولِ شَيْءٍ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ بِشُرُوط

أَوَّلُهَا: أن تبقى هذه الأشراط في دائرة التوقع المظنون دون أن نتكلف إيجادها بإجراءاتٍ من عند أنفسنا؛ لأنها أمور كونية قدرية واقعة لا محالة، ولم نخاطَب باستخراجها من عالَم الغيب إلى عالم الشهادة.

وَثَانِيهَا: أن يُراعَى الترتيبُ الزمني لتسلسل الأشراط؛ طبقًا لما دلت عليه نصوص الوحي الشريف، وعدم القطع بزمان أو ترتيبٍ ما لا دليل على زمنه وترتيبه إلا الظن والتخمين

وَثَالِثُهَا: أن لا يُؤَثِّرَ هذا الترقبُ سلبًا على أداء واجب الوقت، وتكاليف الشرع.

الضَّابِطُ الثَّانِي: الانْتِبَاهُ إِلَى النِّسْبِيَّةِ الزَّمَانِيَّةِ عِنْدَ الْكَلاَمِ عَلَى اقْتِرَاب السَّاعَةِ

فالقرب والبعد كلاهما أمر نسبي، ومن يدري لعل بيننا وبينها آلافًا من السنين لا يعلمها إلا الله، ولعلها أقرب مما نتصور؟!

---

(١) أشراط الساعة لعبد الله بن سليمان الغفيلي (ص: ٤٣)

الضَّابِطُ الثَّالث: لا يمكِنُ إِسْقَاطُ النُّصُوصِ الَّتي يَطْرُقُهَا الاِحْتِمَالُ عَلَى وَاقع مُعَيَّن إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِهَا وَانْقِضَائِهَا

الضَّابِطُ الرَّابع: يتعين على من يتكلم على الأحاديث: أن يجمع طرقها، ثم يجمع ألفاظ المتون إذا صحَّت الطرق، ويشرحها على أنه حديث واحد، فإن الحديث أولى ما فُسِّرَ به الحديث.

الضَّابِطُ الخامِسُ: حصرُ مصادرِ التَّلقي فيما هو حجة شرعية، وإهدار ما عداه، كالأحاديث الضعيفة، والموضوعة، والإسرائيليات التي تعارض ما عندنا، أو التي أُمِرْنا بالتوقف فيها، وحساب الجُمَّل المسمى بعلم الحروف، ومرويات الرافضة، وجَفْرِهم المزعوم، والمناماتِ، والتحليلات السياسية الظنية، ونحوها؛ وذلك أن الأشراط التي لما تقع غيب، ولكنه غيب صادق، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مصدره الكتاب والسُّنَّة الصحيحة.

الضابِطُ السَّادِسُ: ما أُشْكِلَ عَلَيْكَ؛ فَكِلْهُ إلى عَالِمِهِ. (١)

حِكَم وفوائد إخبار النبي ﷺ بأشراط الساعة

١ - تعلم الكيفية الصحيحة التي نتعامل بها مع بعض الأحداث المقبلة التي قد يلتبس علينا وجه الحق فيها، وأمثلة ذلك كثيرة منها:

- أنه ﷺ نهى المسلمين عن أخذ شيء من جبل الذهب الذي سوف ينحسر عنه الفرات لما يترتب على ذلك من التقاتل الشديد. (٢)

---

(١) فقه أشراط الساعة للمقدم (ص: ٢٥٣ - ٢٨٦) باختصار

(٢) رواه البخاري (٧١١٩) مسلم (٢٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

- وبصّر أمته بفتنة الدجال، وأفاض في وصفها، وبين لهم ما يعصمهم منها؛ ومن ثَمّ **قال السفاريني**: مما ينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد، والنساء الرجال، ولاسيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن. (١)

- وامتدت شفقته ﷺ؛ لتشمل إخوانه الذين يأتون من بعده، ولم يروه؛ فبذل لهم النصح، ودلهم على ما فيه نجاتهم، وحسن عاقبتهم. فمن ذلك قوله ﷺ: ((اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ)). (٢) فمن ثَمَّ أمسك المسلمون عن استفزاز واستثارة الترك، فسلِموا من غائلتهم، إلى أن خالفوا التوجيه النبوي. فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يُسمع بأغرب منها ولا أبشع، فقد قتل –جنكيز خان - من المسلمين شرقا وغربا مالا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم. (٣)

٢ – قد تمر بالمسلمين وقائع في مقبل الأيام تحتاج إلى بيان الحكم الشرعي فيها، ولو تُرك المسلمون إلى اجتهادهم؛ فإنهم قد يختلفون، وربما يكون نقصاً تنزه الشريعة عنه. فمن ذلك: - أن رسول الله ﷺ أخبر أن الدجال يمكث في الأرض أربعين يوماً، يوم من أيامه كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ عن تلك الأيام الطويلة: أتكفي في الواحد منها صلاة يوم؟ فقال ﷺ: ((لا، اقدروا له قدره)). (٤)، ولو وُكِل العباد إلى اجتهادهم، لاقتصروا على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غير هذه الأيام.

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٠٦)

(٢) رواه أبو داود (٤٣٠٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٣٨)

(٣) البداية والنهاية ط هجر (١٧/ ١٦٤) و (١٧/ ٤٦٨) بتصرف

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

- وأخبر الرسول ﷺ أن عيسى - عليه السلام - بعد نزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان. (١)، وهذا البيان من الرسول ﷺ ضروري؛ لأن عيسى يحكم بهذا الشرع، وهذا الشرع فيه قبول الجزية ممن بذلها إلى حين نزول عيسى ابن مريم، وحين ذاك توضع الجزية، ويقتل كل من رفض الإيمان، ولو بذل الجزية.

كما أن نص رسول الله ﷺ على صفات معينة لأشخاص معينين؛ كالمهدي - مثلاً - يمدنا بالمعيار اللازم للحكم على الدجالين المدعين المهدية، حتى لا نتورط في فتنهم. (٢)

٣ - إشباع الرغبة الفطرية في الإنسان التي تتطلع لاستكشاف ما غاب عنه، واستطلاع ما يحدث في المستقبل من وقائع، وإذا كان الإسلام سدَّ طرق الدجالين الذين يدَّعون الاطلاع عليها؛ كالمنجمين، والعرّافين، والكهان، ونحوهم إلا أنه - استجابة لأشواق الفطرة - أطلعنا - من خلال نافذة الوحي - على كثير من هذه الأحداث.

٤ - أن الإخبار عن الغيوب المستقبلة - باعتبار ما فيها من خرقٍ للعادة - من أهم دلائل النبوة؛ حيث إنها تتضمن تحدياً لعقول البشر أجمعين، فهذه أمور غيبية لا تدرك بالعقل، ولا يمكن معرفة كنهها على الحقيقة إلا من خلال الوحي الصادق من الله تعالى، إلى رسوله ﷺ، وقد صدرت منه لا على أنها توقعات تعتمد على مقدمات تؤدي إلى نتائجها، وإنما هي حديث دقيق قاطع عن تفاصيل المستقبل المجهول، حديثاً لا يحرمه المستقبل، ولا في جزء من أجزائه، وحينئذ فلا شك أنها النبوة، وأن صاحبها متصل بالله- تعالى- عالم الغيب والشهادة؛ كما قال - عز وجل-: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا } [الجن: ٢٦]

---

(١) رواه البخاري (٢٢٢٢) ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) القيامة الصغرى لعمر الأشقر (ص: ١٣٠ - ١٣٢) باختصار

٥ - ومن ذلك أيضاً إقامة الحجة على الكافرين، وإقناعهم بصدق نبوة ورسالة محمد ﷺ إلى العالمين.

٦ - فتح باب الأمل، والاستبشار بحسن العاقبة لأهل الإيمان إذا ادْلَهَمَّتِ الخطوب، وضاقت الصدور، مما يعطي المسلمين طاقة يصارعون بها ما يسميه المتخاذلون "الأمر الواقع"؛ ليصبح عزهم ومجدهم هو الأمر الواقع؛ وذلك بناءً على البشارات النبوية بالتمكين للدين، وظهوره على الدين كله، ولو كره الكافرون. (١)

الفوائد والدروس المستفادة من الإيمان بأشراط الساعة

أولاً: تحقيق ركن من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان باليوم الآخر

باعتبار أن أشراط الساعة من مقدماته، كما أنه من الإيمان بالغيب، وقد مدح الله ووصف عباده المتقين، وكان أول صفاتهم وأهمَّها: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}[البقرة: ٣]

وفي حديث جبريل عليه السلام أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة، وأن النبي ﷺ قال في أخره: ((فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)). (٢) والشاهد أنه عدَّ ما يتعلق بأمارات الساعة من الدين.

ثانيا - قوة اليقين بصدق الله ورسوله ﷺ

فوقوع الأشراط والعلامات على النحو الذي جاءت به الأخبار يثبت الإيمان ويقويه، فالمسلمون في كل عصر يشاهدون وقوع أحداث مطابقة لما أخبرت به النصوص الصادقة، ولا شك أن هذا له أثر كبير في تثبيت المؤمن على إيمانه، وقد يكون ذلك مدخلاً لدعوة الآخرين إلى هذا الحق الذي جاءنا من ربنا، قال تعالى واصفا حال

---

(١) فقه أشراط الساعة للمقدم (ص: ٣٠)

(٢) رواه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

المؤمنين: {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٢٢]

ثالثا - الاستعداد والتهيؤ للساعة قبل مجيئها

فالإيمان بأشراط الساعة يُحَفِّز على الاجتهاد في الأخذ بأسباب النجاة، واستفراغ الوُسْع في الاستعداد للقاء الله تعالى بالأعمال الصالحة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد. (١)

ونقل القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن العلماء قولهم: والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها. (٢) قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: ١٨]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((مَا أَعْدَدْتَ لَهَا)). قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: ((أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)). (٣) فإذا استشعر العبد قُرب قيام الساعة انشغل قلبه خوفاً من ربه، ورجاء له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه، وصدقاً معه.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٠)

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ١٢١٧)

(٣) رواه البخاري (٦١٧١) ومسلم (٢٦٣٩)

قال ابن رجب رحمه الله: فأعرض عن الجواب عن الساعة إلى ذكر الاستعداد لها؛ لأنه هو المأمور به وهو الذي يعني السائل وغيره وينبغي الاهتمام به. (١)

رابعا - المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن تشغله الفتن وتحول بينه وبينها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)). (٢) فأمرهم النبي ﷺ أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات، فإنها إذا نزلت أدهشت، وأشغلت عن الأعمال، أو سُدَّ عليهم باب التوبة، وقبول العمل. (٣)

قال النووي رحمه الله: مَعْنَى الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ تَعَذُّرِهَا وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِمَا يَحْدُثُ مِنَ الْفِتَنِ الشَّاغِلَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ الْمُتَرَاكِمَةِ كَتَرَاكُمِ ظَلَامِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا الْمُقْمِرِ وَوَصَفَ ﷺ نَوْعًا مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الْفِتَنِ وَهُوَ أَنَّهُ يُمْسِي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا أَوْ عَكْسُهُ وَهَذَا لِعِظَمِ الْفِتَنِ يَنْقَلِبُ الْإِنْسَانُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ هَذَا الِانْقِلَابَ. (٤)

وكما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ)). (٥)

أي سابقوا ست آيات دالة على وجود القيامة قبل وقوعها وحلولها فإن العمل بعد وقوعها وحلولها لا يقبل ولا يعتبر

---

(١) فتح الباري لابن رجب (١/ ٢١٦)

(٢) رواه مسلم (١١٨)

(٣) (فيض القدير: ٣/ ١٩٤) للمناوي.

(٤) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٣٣)

(٥) رواه مسلم (٢٩٤٧) خاصة أحدكم: الموت. وأمر العامة: أي الساعة

وقال القاضي عياض: أمرهم أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات فإنها إذا نزلت أدهشت وأشغلت عن الأعمال أو سُدَّ عليهم باب التوبة وقبول العمل. (١)

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ)). (٢)

وعن عابس الغفاري رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةُ الشُّرَطِ، وَبَيْعُ الْحُكْمِ، واسْتِخْفَافٌ بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَنَشْوٌ يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَ أَحَدُهُمْ لِيُغَنِّيَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَقَلَّهُمْ فِقْهًا)). (٣)

المسارعة إلى تحقيق التوبة النصوح قبل فوات الأوان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: {لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: ١٥٨]. (٤)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((ثَلاَثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ)). (١)

---

(١) فيض القدير للمناوي (٣/ ١٩٤)

(٢) رواه البخاري (١١٥)

(٣) رواه أحمد (٣/ ٤٩٤) والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٢٦٥) والطبراني (٦٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٥٤٣). "بيع الحكم" أي: بيع القضاء، أي: يتوسل إليه بالرشوة. "ونشوٌ، أي: جماعةً أحداثاً

(٤) رواه البخاري (٦٥٠٦) ومسلم (١٥٧)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ)). (٢)

سادسا- الانشغال بالعبادة وقت الفتن لعظم أجر العبادة في الهرج

عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ)). (٣)

قال النووي رحمه الله: الْمُرَادُ بِالْهَرْجِ هُنَا الْفِتْنَةُ وَاخْتِلاَطُ أُمُورِ النَّاسِ وَسَبَبُ كَثْرَةِ فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِيهِ أَنَّ الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد. (٤) فإذا غفل الناس، وانشغلوا، وقام هذا العبد يعبد ربه ذلك لأن قلبه معمور بمحبته، والإنابة إليه، والصدق معه، والانشغال بذكره، وهكذا المؤمن في وقت الهرج والمرج متصل بالله تعالى.

سابعا - الثبات على الدين عند حلول الفتن

فأكثر الناس ثباتا وأعظمهم بصيرة في زمن الفتن، أكثرهم علما ومعرفة بما أرشد إليه النبي ﷺ في التعامل مع ما سيقع من الفتن والأهوال، **عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** رضي الله عنهما أن رَسُول اللهِ ﷺ، قال: ((إِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ

---

(١) رواه مسلم (١٥٨)

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٣)

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٨)

(٤) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٨٨)

يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ)). (١)

- ضرورة التسلح بالعلم الشرعي وتلقيه عن أهله قبل ذهابه واندراسه

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ)). (٢)

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ)). (٣)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)). (٤)

وعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الْجُمَحِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ((إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ)). (٥) ذكر أبو عبيد في تأويل هذا الخبر عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل البدع ولا يذهب إلى السِّن. (٦)

ثامنا- الحذر الحذر من الفتن والله الله في الابتعاد عن مواطنها

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٤)

(٢) رواه مسلم (٨٠٩)

(٣) رواه البخاري (٨٠) ومسلم (٢٦٧١)

(٤) رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣)

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٢١) والطبراني (٩٠٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٣٩)

(٦) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦١٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ)). (١)

وفي لفظ عند مسلم: ((تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي)). (٢)

وعن حُذَيْفَة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)). (٣)

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَلاَ يَزَالُ بِهِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبَهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ)). (٤)

تاسعا: لا ينبغي للمسلم أن ينخدع بالكلمات الرنانة ولا بالمظاهر الخداعة المخالفة للشرع

فقد حذر النبي ﷺ من مُرَوجي الشبهات ودعاة الفتنة

كما في حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ

---

(١) رواه البخاري (٧٠٨١) ومسلم (٢٨٨٦)

(٢) رواه مسلم (٢٨٨٦)

(٣) رواه مسلم (١٤٤)

(٤) رواه أحمد (٤/ ٤٣١) وأبو داود (٤٣١٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٨٠)

وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ)). (١)

وحذر ﷺ من الانخداع بالمظاهر الكاذبة في السنوات الخداعات،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ)). قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: ((الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ)). (٢)

نسأل الله أن يقينا شرور الفتن ما ظهر منها ومابطن

---

(١) رواه مسلم (٧)

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٩١) وابن ماجه (٤٠٣٦) وصححه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٠٨)

obeikandl.com

واقترب رمضان فهل من مشمر

أهمية الاستعداد ودع شعبان بمزيد من الطاعات
تعظيم شهر رمضان ومعرفة قدره معرفة الثمرات العظيمة

رمضان له طعم خاص، وحديثه يجلو القلوب، ومحطة خاصة، وشعور غريب لا يشعر به إلا المحبون العاشقون لهذا الشهر، وما فيه من الخير العظيم العميم: كل هذا الشوق، وكل هذا الحنين، وكل هذه المشاعر والعواطف، ومع ذلك هناك من يفرط في رمضان، ويخسر فضله وأجره -والعياذ بالله- وربما لم يشعر ذلك الخاسر بلذة الصيام والقيام، ولا يعرف من رمضان إلا الجوع والعطش، فأي حرمان بعد هذا الحرمان! نعوذ بالله من الخسران.

أهمية الاستعداد:

- هو دأب الصالحين وطريق المفلحين الفائزين فتشبه بهم تكن معهم.

- فرقٌ كبير بين من دخل عليه رمضان ليحصد الحسنات وبين من دخل عليه رمضان وهو يجاهد نفسه على الطاعات.

- شهر رمضان وجبة دسمة من الطاعات قد تؤدي إلى التخمة الروحية إن لم توافق شهية قوية وهذا مشاهد في واقع الناس.

- الاستعداد الجيد درعٌ يقي المسلم من الملل والفتور أثناء السباق في شهر رمضان.

- كلما كانت الثمرة أعظم كان الثبات بعد رمضان أطول وما ذلك إلا ثمرة الاستعداد الجيد.

ودع شعبان بمزيد من الطاعات:

obeikandi.com

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قالت: ((كَانَ أَحَبَّ الشُّهُورِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَصُومَهُ شَعْبَانُ، بَلْ كَانَ يَصِلُهُ بِرَمَضَانَ)). (١)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لاَ يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ)). (٢) وفي لفظ: ((كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلاً)). (٣)

عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنَ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: ((ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبَ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)). (٤)

قال ابن رجب رحمه الله: وإنما صيام النبي ﷺ من أشهر السنة فكان يصوم من شعبان ما لا يصوم من غيره من الشهور. (٥)

قال الصنعاني رحمه الله: فِي الحديث دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يُخَصُّ شَعْبَانَ بِالصَّوْمِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ. (٦)

ـ تعظيم شهر رمضان ومعرفة قدره

قال تعالى: {وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: ٣٢]

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٣١)، والنسائي (٢٦٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٤٨).

(٢) رواه البخاري (١٩٦٩) ومسلم (١١٥٦)

(٣) رواه البخاري (١٩٧٠) ومسلم (١١٥٦)

(٤) رواه النسائي (٢٦٧٨) وحسنه الألباني في إرواء الغليل(٤/ ١٠٣)

(٥) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٢٨)

(٦) سبل السلام (١/ ٥٨٣)

فقد كان السلف رحمهم الله بعد رمضان مباشرة يدعون الله أن يتقبله منهم ستة أشهر ثم في الست أشهر الباقية يدعونه أن يُبلغهم رمضان القادم فانظر لمدى استشعارهم لمكانة رمضان وأيامه الغالية. . .

فعلى المسلم أولاً أن يعظم شهر رمضان وأن يقدره حق قدره، ولِمَا لا وقد عظَّمه الله تعالى وعظمه رسوله ﷺ وعظَّمه المؤمنون، ويكفي أن تعرف أن الله تعالى اختصَّ هذا الشهر بإنزال كتبه على رسله لهداية الناس ونجاتهم، فعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ، لِثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ)). (١)

ـ معرفة الثمرات العظيمة التي يجنيها المسلم من الاجتهاد في الطاعة خلال شهر رمضان.

مثل: مغفرة الذنوب، العتق من النار، مضاعفة الحسنات، رفع الدرجات، الانتصار على النفس والشيطان، الشعور بلذة الطاعة، الشعور بمعية الله، حياة القلب وصلاح النفس،. . . . وغير ذلك كثير

فمعرفتك لهذه الفضائل وغيرها يعطيك دافعاً نفسياً للاستعداد له.

– **ويتم ذلك من خلال المطالعة الإيمانية:** وهي عبارة عن قراءة بعض كتب الرقائق المختصة بهذا الشهر الكريم لكي تتهيأ النفس لهذا الشهر بعاطفة إيمانية مرتفعة.

– اقرأ كتاب لطائف المعارف (باب وظائف شهر رمضان) وكتاب (أسرار المحبين في رمضان) وسوف تجد النتيجة بإذن الله.

ـ النية الصالحة

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٠٧) والطبراني في الأوسط (٣٧٤٠) وحسنه الألباني في الصحيحة (٤/ ١٠٤)

تدبر هذا الحديث الذي **رواه أَبُو هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ،: ((قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا)). (١)

ومن النيات المطلوبة في هذا الشهر:

١- نية ختم القرآن لعدة مرات مع التدبر.

٢- نية التوبة الصادقة من جميع الذنوب السالفة.

٣- أن يكون هذا الشهر بداية انطلاقة للخير والعمل الصالح وإلى نلقى الله بإذن الله.

٤- نية كسب أكبر قدر ممكن من الحسنات في هذا الشهر ففيه تضاعف الأجور والثواب.

٥- نية تصحيح السلوك والخلق والمعاملة الحسنة لجميع الناس.

٦- نية العمل لهذا الدين ونشره بين الناس مستغلاً روحانية هذا الشهر.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: إِن هَمَمْت فبادر وَإِن عزمت فثابر وَاعْلَم أَنه لَا يدْرك المفاخر من رَضِي بالصف الآخر.

قَالَ **عمر بن عبد الْعَزِيز** رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ لي نفسا تواقة لم تزل تتوق إِلَى الْإِمَارَة فَلَمَّا نلتها تاقت إِلَى الْخلاَفَة فَلَمَّا نلتها تاقت إِلَى الْجنَّة. (٢)

كثرة الاستغفار والذكر

قال تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } [نوح: ١٠، ١٢]

---

(١) رواه مسلم (١٢٩)

(٢) المدهش (ص: ٢٢٨)

يقول ابن كثير: وَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَحَفِظَ عَلَيْهِ شَأْنَهُ وَقُوَّتَهُ. (١)

سئل الشيخ الشنقيطي: بماذا تنصحني باستقبال مواسم الطاعات؟

فقال: خير ما تستقبل به مواسم الطاعات " كثرة الاستغفار " لأن ذنوب العبد تحرمه التوفيق، وما لزم عبد قلبه الاستغفار إلا زكي وإن كان ضعيفا قوي وإن كان مريضا شفي وإن كان مبتلى عفي وإن كان محتارا هدي وإن كان مضطربا سكن وإن الاستغفار هو الأمان الباقي لنا بعد رسول ﷺ

ـ المداومة على الدعاء قبل مجيء رمضان

اللهم بلغنا رمضان

قال يحيى بن أبي كثير رحمه الله كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان وسلم لي رمضان وتسلمه مني متقبلا. (٢)

اللهُم بلغنا شهر رمضان بعظيَم غفرَانك، وواسع رَحمتك

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٩).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٤٨)

obeikandl.com

ملف العدد

وسطية الإسلام من أبرز خصائصه

من أبرز خصائص أمة الاستجابة وسطيتها، فالأمة الإسلامية وسط في كل جوانب الدين.

ففي جانب العقيدة: فهم ممتثلون لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ (المائدة: ٧٧).

فهم وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين؛ لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون، ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود؛ فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا.

بل المؤمنون آمنوا برسل الله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم، ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أربابا كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (آل عمران: ٧٩: ٨٠).

توسط أهل السنة والجماعة بين الفرق الإسلامية، فأهل السنة والجماعة وسط بين الفرق كلها.

فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسطٌ بين أهل التعطيل، الذين يلحدون في

أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه؛ حتى يشبهوه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات.

فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل.

وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله؛ الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء؛ وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل. فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ (الأنعام: ١٤٨).

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير. فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن إنفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات.

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبورا؛ إذ المجبور من أكره على اختلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير. فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية؛ الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الإيمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبي ﷺ. وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان. ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية.

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله وليس

معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة وأنهم لا يخلدون في النار. بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال خردلة من إيمان وأن النبي ﷺ ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

وهم أيضًا في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم وسط بين الغالية. الذين يغالون في علي ﷺ فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما وأن الصحابة ظلموا وفسقوا، وكفروا الأمة بعدهم كذلك وربما جعلوه نبيا أو إلها وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله عنهما ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما. ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما ويقدحون في خلافة علي ﷺ وإمامته(١).

وهم وسط بين المعتزلة المعظمين للعقل إلى درجة أنهم يردون المتواتر من الأحاديث ويلوون أعناق الآيات بتأويلاتهم الفاسدة لزعمهم أنها تخالف العقل، وبين أهل الجمود والظاهر ممن يلغون دور العقل في الفهم والاستنباط والفقه ولا يثبتون للنص معنى.

وهم وسط بين من يقول: نقرأ القرآن والسنة للبركة، وأما العلم والفقه فهو مدون في المتون والمختصرات والمطولات وأقوال الرجال، ويحفظون الأقوال والمسائل دون اهتمام بالدليل، وبين من يقول: "الكتاب والسنة"، بمعنى إهدار جهود السابقين من الأئمة الأعلام ومصابيح الظلام الذين أصَّلُوا الأصول وفرَّعوا الفروع ونفعوا الأمة وخدموا الكتاب والسنة، فالمتأخرون من بحر علومهم يغرفون، ولكن هذا لا يعني أنهم معصومون ولا يخطئون، فأهل السنة والجماعة يحبونهم ويحترمونهم وينتفعون

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/٣٧٣-٣٧٥).

بعلومهم ويستعينون بأقوالهم لفهم الكتاب والسنة واتباع الصحيح من الأقوال.

وهم وسط بين من يقول بأن كل مجتهد مصيب وبين من يسفه آراء العلماء ويتطاول على أئمة الإسلام، وقولهم في المسألة كل مجتهد مأجور وإن أخطأ، لقول النبي ﷺ: "إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ واحد"(١).

وهم وسط بين المتفلتين المتتبعين لرخص العلماء بزعم التيسير والتخفيف على العباد وبين المتشددين المحرمين لكل شيء.

وهم وسط في مسألة التقليد بين من يحرم الاجتهاد ويوجب التقليد على كل أحدٍ وبين من يحرم التقليد على إطلاقه دون تفصيل(٢).

وكذلك في سائر "أبواب السنة " هم وسط. لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان(٣).

---

(١) البخاري (٧٣٥٢)، مسلم (١٧١٦).

(٢) الغلو في الدين، لجلال بن بعد الرحمن عارف صـ٢١، ٢٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/٣٧٣).

obeikandl.com

الملامح المهمة في منهاج الدعوة

يمكن أن نحدد بعض الملامح المهمة في منهاج الدعوة والتي منها يتبين أن الإسلام هو دين الوسطية حتى في الدعوة إليه.

أ) هداية الناس بيد الله: قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (القصص: ٥٦). وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (فاطر: ٨).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اللهمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**"(١).

ب) مهمة الدعاة التبليغُ والبيان: قال تعالى: وقال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (الشورى الآية ٤٨). فإذا بذل الدعاة جهدهم في ذلك، فقد قاموا بالواجب، وأدوا الأمانة:

ج) لا إكراه في الدين: قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

وقال سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩).

د) وسائل الدعوة ثلاث: وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم

(١) مسلم (٢٦٥٤).

بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

فالحكمة: وهي ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والسنة، تجذب أصحاب العقول والفطر السوية.

والموعظة الحسنة: أي ما في الكتاب والسنة من الزواجر والوقائع بالناس، يذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى، والداعية بهذه الوسيلة يستميل أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والذين تلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق.

أما من يحتاج فهمه إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال الله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وهذه الأساليب الثلاثة، أهم أساليب الدعوة التي لا يخرج عن نطاقها والتأثر بها من المدعوين إلا من قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ (الأعراف: ١٤٦).

هـ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو من أوصاف الأمة الإسلامية التي استحقت بها الخيرية على الأمم، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ١١٠﴾.

وقد استحق بنو إسرائيل اللعن بتركهم لهذه الشريعة، قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ (المائدة: ٧٨- ٧٩).

ومنهاج الإسلام فيه منهاج الوسط والاعتدال، ، ومراعاة الاستطاعة والقدرة.

ولقد كانت حياة النبي ﷺ هي المنهاج العملي للوسطية في الدعوة إلى الله، وعلى سيرته سار الخلفاء الراشدون، والتابعون لهم بإحسان.

والأمثلة على ذلك كثيرة، فمنها حديث المسيء صلاته لما صلى الرجل عدة مرات، والنبي يقول له في كل مرة "**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**" ثم علمه النبي ﷺ كيفية الصلاة(١).

وأيضًا حديث معاوية بن الحكم السلمي لما تكلم في الصلاة وعلَّمه النبيُّ ﷺ "**إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ ما يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ**"(٢).

وفي هذه الفترة القليلة من الزمن في حياة الأمم، دخل الناس في دين الله أفواجًا وتكوَّن المجتمع المسلم الواحد في عقيدته وشريعته وسلوكه الاجتماعي.

وكانت الدعوة إلى الله وفق منهاج الوسطية القرآنية، هي السبيل الأول لانتشار الإسلام ودعوته(٣).

والحمد لله رب العالمين

---

(١) البخاري (٧٥٧)، مسلم (٣٩٧).

(٢) مسلم (٥٣٧).

(٣) الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، تحت فصل بعنوان، ((الوسطية في الدعوة)) بتصرف يسير.

openkanal.com

الفهـــــــرس

الإقصـائيون.....٢
رجـب شهـــر الغـــــرس.....٦
كيف تواجه الشهوات.....١٥
أين الغـيرة على الأعراض؟.....٢٧
الهزيمة النفسية.....٤٠
حاجة الأمة إلى الثقة بالله.....٥٤
ضرورة التذكير بالمبشرات وقت الشدائد والأزمات.....٧١
فوائد تربوية من أشراط الساعة.....٨٢
واقترب رمضان فهل من مشمر.....٩٦
ملف العدد.....١٠١
وسطية الإسلام من أبرز خصائصه.....١٠١
الملامح المهمة في منهاج الدعوة.....١٠٥

obeikandl.com